

رشيد خشانة : شبأبنا وقود للؤوغائين

العربية

Leaders

العدد 25 • السعر : 2,5 د.ت. • جانفي 2018

هجرة الكفاءات التونسية كيف نوقف النزيف؟

احميدة النيفر: الحريات الفردية، هل هي نهاية الإقصاء؟



من التوافق إلى التوافق العام

هل

وفي حقيقة الأمر فإنّ اجتناب حركة النداء منطوق القطيعة مع اعتبار وثيقة قرطاج الإطار السياسي الوحيد الذي يجمعها ببقية شركائها في الحكم بما فيهم حركة النهضة ليس إلا تناغما مع سياسة رئيس الجمهورية الحريص على المسك بزمام اللعبة السياسية من خلال الانفتاح على كلّ التيارات والمنظمات وتوطيد أسس الحوار وتوسيع دائرته، في ظرفيّة حرجة طغت عليها التجاذبات وفي بداية سنة ستكون «فارقة»، حيث ستشهد الانتخابات البلدية -ومعها ينطلق مسار إرساء اللامركزية- وخلالها تتأكد أهمية البحث في المنوال التنموي الجديد ومعالجة قضايا جوهرية كالتنمية الجهوية والتشغيل والاستثمار وتطوير المنظومة الصحية والنهوض بالمدرسة العمومية، فضلا عن تسريع نسق الإصلاحات الكبرى ومواصلة الحرب على الإرهاب ومقاومة الفساد.

ولا مرأى أنّ هذه القضايا ستكون، إلى جانب ملفّات أخرى حارقة، محور نظر وتمحيص في الحوار الاقتصادي والاجتماعي الذي أقرت تنظيمة الأطراف الموقعة على اتفاق قرطاج في اجتماعها الأخير بإشراف رئيس الدولة بعد أن غدا الجميع مقتنعا بجدوى إقامة هذا الحوار، دعما للاستقرار السياسي ودفعاً للعمل التنموي وتهيئة الظروف السليمة الاجتماعية.

فمثلما جنّب الحوار الوطني في سنة 2013 تونس الوقوع في أتون الفتنة والاحتراب الأهلي، من شأن الحوار الاقتصادي والاجتماعي أن يساعد البلاد على الخروج من نفق أزمتها المالية المستحكمة وأن يجعل الديمقراطية التونسية الناشئة التي يُنظر إليها في الخارج بكثير من التقدير والإعجاب مولدة للتقدّم الاقتصادي والرفاه الاجتماعي، ومؤسسة لوعي جمعي يثمن المشترك ويمتدّ أواصر العروة الوثقى بين التونسيين في هذه الظرفية التي لا تخلو من مخاطر اقتصادية وأمنية جمة. ■

ع.ه

هو مؤسّر جدّي لتغيّر عميق في الموقف إزاء حليف الأمس يعيد بناء التوازنات القائمة على نحو يفضي إلى إعادة تشكيل المشهد السياسي، أم هو مجرد تكتيك انتخابي لتعزيز موقع الحزب قبل الاستحقاقات القادمة؟ يتبادر إلى الذهن هذا السؤال عند الاطلاع على الوثيقة السياسية الصادرة عن الندوة الوطنية للإعداد للانتخابات البلدية التي عقدتها يوم 6 جانفي الجاري حركة نداء تونس حيث أعلنت فك الارتباط بحركة النهضة، حليفها بعد انتخابات 2014 مؤثرة تبني «الرؤية الواضحة والمتفردة والمتميزة عن رؤية بقية المنافسين» على مستوى مشروعها المجتمعي والسياسي، «والتمثّل في الخطّ الوطني الإصلاحي الحداثي».

هذا التعديل في المسار الذي يأتي بعد أن فقد النداء ثقة جزء كبير من ناخبيه يبدو منطقيا، إذ يخضع لقاعدة كان من المفروض أتباعها في أي نظام ديمقراطي تقضي بأن تتولّى فيه الأغلبية الحكم لتنجز برامجها احتراماً للإرادة العامّة، في حين تضطلع المعارضة بوظيفة النقد ومراقبة أداء الحكومة المبنية عن هذه الأغلبية. هل انتهت بذلك سياسية «التوافق» التي لطالما دافع عنها الرئيس الباجي قايد السبسي والسيد راشد الغنوشي بوصفه خيارا فرضته نتائج الانتخابات التشريعية وإكراهات الفترة الانتقالية؟ هل تأكّد الاقتناع بأنّ هذا «التوافق» الذي اعتبره الكثيرون مغشوشا مثل بالفعل عنصر شلل لمسيرة البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا؟

إنّ قراءة متأنية في بيان «النداء» تجعلنا نقف في مستوى لعبة الخطاب -وكم هي مهمة في مجال السياسة- على مصطلح «التوافق العام»، وهو مصطلح- مفتاح لا يلغي التوافق مبدأ، بل يدرجه في إطار أسمى ينهي التنسيق بين الأحزاب المعطل للتمايز والتنافس لينصبّ الاهتمام على «المصالح العليا للدولة والبلاد».

وسرعان ما تلقّفت هذه الرسالة حركة النهضة التي أكّد الناطق الرسمي باسمها أنّ «المنافسة مفيدة للديمقراطية في البلاد» وأنها «لا تتنافى مع مبدأي الشراكة والتوافق».

المدير المسؤول
توفيق الحبيب

مستشار التحرير
الهادي الباهي

مدير التحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التحرير

احميدة التيفر • رشيد خشانة • محمد العزيز ابن عاشور
عبد اللطيف الفراقي • محمد ابراهيم الحصابري
عزالدين المدني • محمد حسين فنطر • منى كريم الدريدي
عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصبحي الوهابي
عامر بوعزة • الحبيب الدريدي • توفيق جابر
المختار المستيسر • عادل كمون • عادل كعنيش
علي اللواتي • يوسف قدية • عبد الدايم الصماري
حنان زيبس • خالد الشابي • نجاح الخراز

التصوير والإخراج
أحمد الشارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صور
ليدرز حقوق محفوظة

مراجعة النصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
جيهان واز • بوران التيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجادي • حمدي المزوعي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العباسي
• ملياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
سامباكت

PR Factory

مجتمع النور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 71 232 111 - فاكس: 71 750 333

www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

متوفرة على رحلات

الخطوط التونسية
TUNISAIR



الفهرس

الافتتاحية

1 • من التوافق إلى التوافق العام
عبد الحفيظ الهرقام

في الغلاف

8 • شبائنا وقود للغوغاءين
رشيد خشانة

10 • هجرة الكفاءات التونسية، كيف نوقف النزيف؟
عبد الحفيظ الهرقام وخالد الشابي

26 • الحريات الفردية: هل هي نهاية الإقصاء؟
احميدة التيفر

مجتمع

28 • قراءة إحصائية في ظاهرة الزيجات في تونس بين 2011 و2015
الحبيب التهامي

30 • يوميات مواطن عيّاش، مريض بالعطش!
عادل الأحمر

شؤون إفريقية

32 • القوة المشتركة لمجموعة دول الساحل الإفريقي، مفارقات ونقاط استفهام
محمد ابراهيم الحصابري

شؤون دولية

38 • استفتاء كردستان العراق وكاتالونيا، التدايعات الجديدة
حنان زيبس

54
ص



28
ص

سألني زميل في الدراسة والتدريس يوما عن التأثير المحتمل للثورة التونسية في تطوّر بعض المعطيات الديمغرافية كعدد الزيجات، فأجبت أنه يجب الانتظار سنوات عديدة حتى تتوفر لدينا المعلومات الكافية للبتّ في المسألة لأنّ علم الديمغرافيا يهتمّ أساسا بالتغيّرات الطويلة المدى التي تبرز إمّا قطيعة مع الماضي وإمّا ترسيخا لاتّجاه وقع إثباته من قبل ←

ثقافة وفنون

44 • مهرجان أيام قرطاج المسرحية، عود على بدء
فوزية بلحاج المزي

48 • بوليوود: سينما من الهند
محمد ناظم الوسلاقي

52 • أسئلة محمد الباردي، في سيرته الذاتية
عامر بوعزة

أعلام تونسيون

54 • الطيّب المهيري (1924 - 1965)، كانت كلمته لا تردّ عند بورقيبة
الشاذلي القليبي

من التاريخ

56 • محمد إقبال والتصوّف: بطاقة حياة
خالد محمد عبده

58 • نازلة محمود بن عيّاد، كبرى قضايا الفساد في تاريخ تونس
الحبيب الدريدي

إصدارات

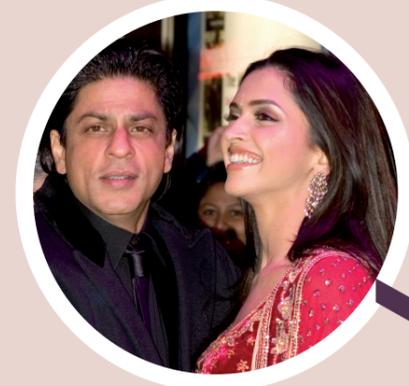
68 • من قضايا النصّ الشعريّ مسائل في المعنى (محمد عبد العظيم)
الحبيب الدريدي

70 • النساء والإرهاب، د. آمال قرامي ومنية العرفاوي

بطاقة

72 • ف س ا د
الصّحبي الوهابي

48
ص



الهند بلد مترامي الأطراف معروف بتنوّعه الثقافي والعربي واللغوي، إضافة إلى تعدّد موارده الطبيعية والصناعية ممّا يجعله يتبوأ مركزا متميزا بين بقية البلدان، خاصّة بصناعته الرائدة في مجال الترفيه الثقافي، ونعني بالخصوص سينما بوليوود. ←

56
ص



كتب محمد الباردي الجزء الأوّل من سيرته الذاتية بين سنتي 2003 و2007 وأصدرها في العام 2008 عن دار كنعان للنشر في سوريا تحت عنوان «حنّة»، في تلك الفترة أيضا وتحديدا في العام 2005 أصدر كتابه النقدي: «عندما تتكلم الذات»: «السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث» عن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق. ←

88
ص



ATL Leasing, L'allié de votre succès



ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois. En fin de période vous en devenez propriétaire.



Plus qu'un leasing...

«الانتصار على الفساد» شعار الدورة الثلاثين للقمّة الإفريقية

تتعقد الدورة الثلاثون لقمّة رؤساء دول وحكومات الاتّحاد الإفريقي بالعاصمة الأثيوبية أديس أبابا، مقرّ الاتّحاد يومي 28 و29 جانفي 2018، تحت شعار «الانتصار على الفساد: خيار مستدام لتغيير إفريقيا». ويسبق القمّة اجتماع المجلس التنفيذي للاتّحاد في مستوى وزراء الخارجية يومي 25 و26 جانفي، في حين ينعقد اجتماع لجنة الممثلين الدائمين من 22 إلى 23 من الشهر نفسه.

ولئن لم يتحدّد إلى الآن مستوى مشاركة تونس في القمّة، فإنّه من المؤكّد أنّ تونس ستغتتم هذه المناسبة لعرض تجربتها في مجال مكافحة الفساد والتعريف بما وضعته من آليات دستورية وسنّته من تشريعات في هذا الخصوص وذلك في الكلمة التي سيتوجّه بها رئيس الوفد التونسي إلى هذا المحفل الإفريقي.



زيارة منتطرة لوزيرة خارجية الهند في بداية فيفري القادم

من المنتظر أنّ تؤدي وزيرة خارجية الهند السيدة سوشما سواراج (Sushma Swaraj) زيارة رسمية لتونس في بداية شهر فيفري القادم، وذلك ردّاً على الزيارة الرسمية الذي كان أداها لنيودلهي وزير الشؤون الخارجية السيد خميس الجهيناوي من 30 إلى 31 أكتوبر الفارط.

وإلى جانب البحث في القضايا ذات الاهتمام المشترك إقليمياً ودولياً من المرجّح أن تتناول المباحثات بين الجانبين السبل الكفيلة بمزيد تنمية المبادلات التجارية وتطوير الشراكة الاقتصادية بين البلدين. والجدير بالذكر أنّ حجم المبادلات التجارية ظلّ متواضعاً، إذ بلغ في موفّي نوفمبر 2016 ما يناهز 740 مليون دينار، وهو ما لا يتناسب خاصّة مع الإمكانيات الهامة للاقتصاد الهندي. وحدّد الطرفان في أكتوبر الماضي هدفاً يتمثّل في بلوغ المبادلات التجارية قيمة مليار دينار خلال السنوات الخمس الماضية.

ويشهد الميزان التجاري مع الهند عجزاً متفاقماً حيث لم بلغ حجم الصادرات التونسية إلى هذا البلد في سنة 2016 سوى 248 مليون دينار، 90 بالمائة منها أسمدة كيميائية، علماً وأنّ السوق الهندية تستوعب 50 بالمائة من صادرات تونس من الحامض الفسفوري.



وقد تأسست في سنة 2012 بالصخيرة شركة مختلطة تونسيّة هندية لإنتاج الأسمدة الكيماوية بتمويل قدره 750 مليون دينار منه 70 بالمائة موارد تونسيّة وبطاقة إنتاجية تبلغ 360 ألف طن سنوياً. ومن ناحية أخرى، شهدت الاستثمارات الهندية تطوّراً ملحوظاً في السنوات الأخيرة في إطار شراكة مع القطاع الخاصّ في مجالي صناعة السيارات (ماهنيدرا وتاتا) وصناعة العطور (داهور).



شبابنا وقودٌ للغوغائيين

مضت سنة ونصف السنة على الاجتماع الأخير للموقعين على وثيقة قرطاج، قبل الاجتماع المنعقد يوم الجمعة 5 جانفي الجاري، وهذه أمانة على أن مرجعية «حكومة الوحدة الوطنية» لا تقوم بوظيفتها، وأن العلاقات بين مكوناتها ليست على ما يرام. وهذا سبب كاف لكي يتعثر مسار الإصلاح ويفقد البوصلة. من الواضح أن أطراف «وثيقة قرطاج» هم رُبان السفينة، وأن الرُبان غير منسجمين، لا بل هم يتدافعون منذ أن اكتشفت هذه الصيغة السحرية، التي تمثل الهدف الأول منها، والحق يُقال، في تسويغ الإطاحة برئيس الحكومة السابق الحبيب الصيد.

على

وتذبذب الرؤية. لذلك هزّت تلك الخطوة الثقة مجدداً بين المكونات الحزبية، وحتى مع منظمتي الأعراف والعمال. والأرجح أن الاجتماع المقبل للموقعين على «وثيقة قرطاج» سيكشف عن المزيد من الثغوب في مركب «الوحدة الوطنية» بالنظر للاحتقان الذي تشعر به بعض المكونات، والتي لم تعد تقبل بإخفائه. ويُعزى هذا الشعور بالضم والاقصاء إلى أن القاعدة التي بُنيت عليها حكومة الوحدة الوطنية لم تكن منطلقة من برنامج شامل للإنقاذ، مع تحديد الكفاءات القادرة على تنفيذه، وإنما من إصرار على ترجمة النتائج الرقمية لانتخابات 2014 إلى حصص في الحكومة، تُوزع بإرادة الحزبين. لذا رأينا ومازلنا نرى من هو أكفأ

هذه الخلفية استأثر الندائون بالمراكز المفتاحية الثلاثة للسلطة، مما جعل الخلافات الداخلية ل«النداء» تنعكس سلبيًا في مرآة الأداء الحكومي، وهذا ما أكدته التعديل الوزاري الأخير، وكذلك في العلاقات بين المكونات السياسية لحكومة الوحدة، التي سرعان ما أصبحت حكومة الفرقة بإعلان «الجمهوري» ثم «أفاق تونس» انسحابها منها، واهتزاز العلاقات مع مكونات أخرى. وشكّل التقارب العجيب بين الحزبين الأولين من جهة و«الاتحاد الوطني الحر» من جهة ثانية (بعدها أقدم زعيمه سابقا على تمزيق وثيقة قرطاج)، علامة على غياب المنطق



• بقلر رشيد خشانة

مُستبعدا من الموقع الذي يمكن أن يُعطي منه الكثير للبلاد، ومن ليست لديه كفاءة يُدير قطاعا ليست له به معرفة كبيرة. من هذه الزاوية ليست هناك من حاجة إلى أن يكون الاجتماع المقبل للموقعين على الوثيقة مُخصّصا لوضع تقويم لعمل الحكومة، فموطن الخلل بين لا يحتاج إلى تشخيص جديد أو شروح.

تبرير التجاوزات

في المقابل يتحوّل الاختلاف في الرأي مع الحزبين الحاكمين لدى بعض المعارضة إلى خطّ تبريري لجميع التجاوزات، أيّا كانت خطورتها، طالما أنها تُساهم في إضعاف الحكومة. وتجلّى ذلك في المواقف المُحرّضة على الاحتجاجات الشارعية والمُبرّرة لأعمال العنف والسطو التي استهدفت الملك العام والخاص، وقد سقط العديد من ضحاياها سواء بين المتظاهرين أو من رجال الأمن. واعتمدت تلك التحركات، والسياسيون المُبررون لها، على منطق غريب يُشرّع الاحتجاج الليلي، مع أن الجماهير التي يُراد إيقاظها وتوعيتها نيامٌ لا تشعر بما يدور حولها. الأخطر من ذلك أن تلك «الاحتجاجات» سرعان ما استُخدمت غطاء لأعمال إجرامية تمثّلت في حرق مقرّات رسمية ومؤسسات خاصة، واقتحام أخرى تحت جنح الظلام من أجل السلب والنهب والاعتداء على الأمنيين. وعلى هذا الأساس فإن المنتظر من الذين حرّضوا في وسائل الإعلام على الاحتجاجات الشارعية أن يُوضّحوا موقفهم من العنف، ويتباينوا مع أعمال الحرق والنهب، التي لا صلة لها بالاحتجاج السياسي السلمي، ولا بممارسة حرية التظاهر المكفولة دستوريا في نطاق ضوابط قانونية واضحة. لذا فإن تلك الأعمال الفوضوية مشبوهة المصدر والرسالة، وليس أدل على ذلك من أن مكونات هامة من المجتمع المدني مارست الاحتجاج على ارتفاع الأسعار، لكن بوسائل لم تترك مجالاً للانزلاق نحو العنف والهدم، من ذلك على سبيل المثال المسيرة الكبيرة التي قادها اتحاد الشغل مؤخرًا في سيدي بوزيد، احتجاجا على الترفيع في الأسعار، والتي انطلقت من مقر الاتحاد الجهوي للشغل نحو مقرّ الولاية، من دون تسجيل أيّ حادث.

الخط البياني للمجتمع المدني

وإذا كانت التجاوزات العنيفة حظيت بنوع من غُض الطرف قبل 14 جانفي 2011 لانسداد الآفاق ومصادرة وسائل التعبير السياسي السلمي، فإن ذلك لا يمكن أن يُبرّر اليوم، لأن مجالات التعبير مُتاحة بجميع الوسائط، وهي في متناول الجميع تقريبا. من هنا فإن أيّ عمل خارج ضوابط القانون هو عمل ضدّ تونس وليس ضدّ الحكومة. وخلافا لما يدّعيه بعضهم من أنه يمثّل صوت المجتمع المدني فإن قراءة الخط البياني لحركة المجتمع المدني تاريخيا في تونس، تُظهر تشبّها بالعمل القانوني والتزاما بسلمية المبادرات والاحتجاجات، ممّا شكّل دوما علامة على نضج المجتمع المدني في بلادنا منذ بواكيره الأولى في سبعينات القرن الماضي. وإذا ما رصدنا تطوّر مسار المجتمع المدني التونسي، خلال نصف قرن، مُقارنة ببلدان منطقتنا، سنلمح أنه اكتسب خطأ تصاعديا تراكميا، وظلّ يجنح دوما للوسائل السلمية، حتى لو كان مفعولها محدودا في كثير من الأحيان.

ويُعزى ذلك إلى أن مسار المجتمع المدني أُنق امتدادا للفكر السياسي في تونس، الذي توحى المنهج الإصلاحية السلمي في غالبية، حتى لدى الكفاح من أجل التحرر من نير الاستعمار. وتجلّى ذلك مجدداً في الدور البارز الذي لعبه المجتمع المدني في الانعطافات الكبرى بعد الثورة، من اعتصام الرحيل إلى الحوار الوطني إلى المعركة مع الإرهاب. في هذا السياق تبدو كل محاولات التلبس التي تسعى لوضع أعمال العنف الأخيرة في سلة المجتمع المدني، افتئاتا عليه وخطا للألوان وتشويها لمساره السلمي. غير أن هذه الأحداث المتلاحقة في عدة مناطق من البلاد تُعمّق من الرهانات والتحديات التي يواجهها المسار الانتقالي، وهي رهانات اقتصادية واجتماعية بالدرجة الأولى، فسوق العمل يعجّ بالشباب المُعطّلين الذين يشكّلون وقودا لأيّ تمرد أو تحدٍّ للدولة، لأنهم يرون أنها لا تهتمّ بقضيتهم. وتشير تقديرات المعهد الوطني للإحصاء إلى أن نسبة البطالة مازالت تفوق 15 في المئة، غير أن هذا الرقم يكون مُضَللا لأن النسبة في الولايات الداخلية أعلى من ذلك بكثير، فهي تفوق 25 في

المنة في ولايات الجنوب الشرقي و24 في المنة في الجنوب الشرقي، وهي غير بعيدة عنها في ولايات الوسط الغربي والشمال الغربي.

ثلاثة خيارات

وإزاء انسداد الآفاق أمام الشباب المُعطّل لا تبقى أمامه سوى ثلاثة خيارات:

- إما ركوب البحر بما يحمله من مفاجآت ومخاطر نحو الجنة الوهمية
- أو الانخراط في شبكات الجريمة بمختلف أنواعها، ومنها الجماعات الإرهابية
- أو إفناء شبابه في المقاهي، والقهر يحرق فؤاده

في مثل هذا المستوى من الإحباط واليأس يغدو شبابنا حطبا للديميين والشعوبيين الذين لا رصيد لديهم سوى بيع الوهم. واللافت أن الذين يُعتقلون ويضربون ويحاكمون هم من ذلك الشباب البريء بينما يفتلّ المهيجون والغوغائيون من المحاسبة. الأخطر من ذلك أن الهرم الشبابي يتآكل من القاعدة والرأس في الوقت نفسه: من القاعدة بفعل تورط بعض الشبان في «الحرق» والجريمة، ومن الرأس بفعل الهجرة المنظمة للكفاءات، فالإحصاءات تشير إلى هجرة 100 ألف عقل تونسي في السنوات الست الأخيرة، وعلى كلّ عشرة مهاجرين هناك واحدٌ على الأقل من العلماء أو الأساتذة الجامعيين أو الأطباء. وقد توجه 60 في المئة من هؤلاء إلى المقاصد التقليدية أي دول أوروبا، وما بين 25 و30 في المئة اتجهوا إلى كندا وأمريكا، فيما تمّ انتداب 15 في المئة المتبقية في بلدان الخليج.

شبابٌ هذه مصائرُه المحزنة يحتاج منّا اليوم أن نوليه أقصى العناية وندرس أوضاعه جيدا، وألا نبيعه العناوين الفضفاضة (حوار وطني، ندوة دراسية...) لكي نصور أهمّ ثروة لدينا، قبل أن تكفر بنا وتلعن بلدها. ر.خ.

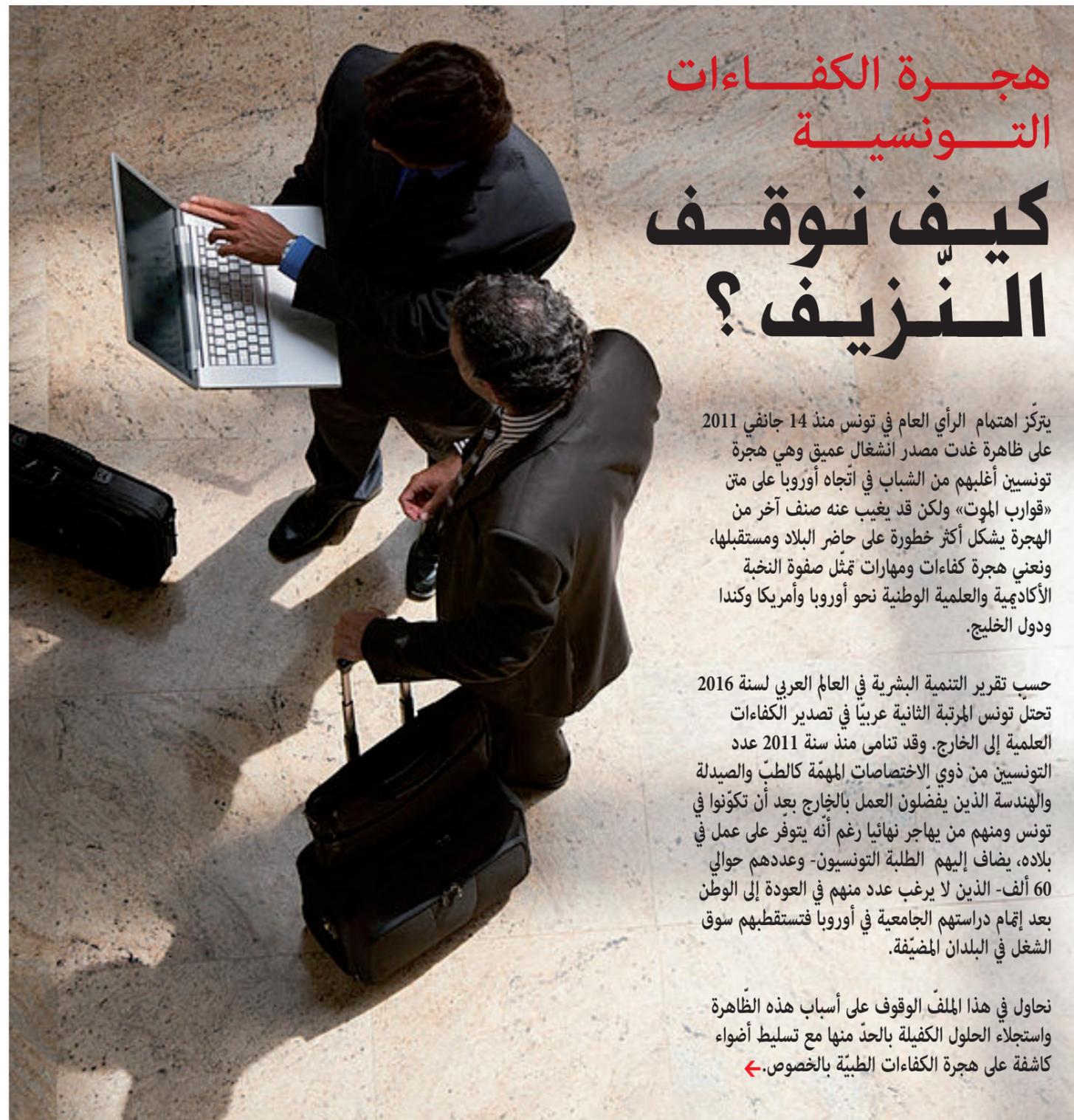
هجرة الكفاءات التونسية كيف نوقف النزيف؟

يتركز اهتمام الرأي العام في تونس منذ 14 جانفي 2011 على ظاهرة غدت مصدر انشغال عميق وهي هجرة تونسين أغلبهم من الشباب في اتجاه أوروبا على متن «قوارب الموت» ولكن قد يغيب عنه صنف آخر من الهجرة يشكل أكثر خطورة على حاضر البلاد ومستقبلها، ونعني هجرة كفاءات ومهارات تمثل صفوة النخبة الأكاديمية والعلمية الوطنية نحو أوروبا وأمريكا وكندا ودول الخليج.

حسب تقرير التنمية البشرية في العالم العربي لسنة 2016 تحتل تونس المرتبة الثانية عربيا في تصدير الكفاءات العلمية إلى الخارج. وقد تنامي منذ سنة 2011 عدد التونسيين من ذوي الاختصاصات المهمة كالطب والصيدلة والهندسة الذين يفضلون العمل بالخارج بعد أن تكونوا في تونس ومنهم من يهاجر نهائيا رغم أنه يتوفر على عمل في بلاده، يضاف إليهم الطلبة التونسيون- وعددهم حوالي 60 ألف- الذين لا يرغب عدد منهم في العودة إلى الوطن بعد إتمام دراستهم الجامعية في أوروبا فتستقطبهم سوق الشغل في البلدان المضيفة.

نحاول في هذا الملف الوقوف على أسباب هذه الظاهرة واستجلاء الحلول الكفيلة بالحد منها مع تسليط أضواء كاشفة على هجرة الكفاءات الطبية بالخصوص. ←

• إعداد عبد الحفيظ الهرقار وخالد الشابي



عدد الكفاءات التونسية التي هاجرت إلى الخارج؟ نجزم أنه لا أحد باستطاعته الرد بالدقة المطلوبة على هذا السؤال، إذ لا توجد في الحقيقة إحصائيات دقيقة تخص هجرة الكفاءات التونسية إلى خارج، لأن هذه الكفاءات تغادر البلاد بطرق مختلفة، فمنها من يترك أثرا إداريا في المؤسسات التونسية المعنية ومنها من لا يترك أثرا. والجدير بالذكر أن أولئك الذين يغادرون بالطرق الرسمية عبر الوكالة التونسية للتعاون الفني يمكن إحصاؤهم بشكل دقيق وهم عادة ما يعودون إلى أرض الوطن عند انتهاء عقودهم. ويبلغ عددهم إلى موفى شهر نوفمبر الماضي 17700 متعاون.

وهناك من يهاجر بصورة غير رسمية وغير منظمة وهؤلاء لا تشملهم الإحصائيات الرسمية لكن نستطيع تقدير عددهم من خلال قراءة الأرقام المتاحة. ففي حين قدّرت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE في تقرير لها صدر في أواخر 2017 عدد الكفاءات العلمية التونسية التي هاجرت إلى الخارج منذ 2011 - 2012 بـ 94 ألف شخص تتراوح أعمارهم بين 25 و45 سنة، تؤكد الإحصائيات الرسمية لسنة 2012 وجود 85 ألفا من الإطارات في الخارج، وإذا ما قمنا بعملية جمع نقدّر عدد الكفاءات العلمية التونسية في الخارج في كل الأصناف بحوالي 180 ألفا. أما الاختصاصات التي تجد رواجاً في الخارج فهي الهندسة والطب والبحث العلمي والتعليم الجامعي والقضاء. وعرفت هجرة المهندسين وخاصة في مجال الإعلامية تزيادا في السنوات القليلة الماضية حيث أفاد أحد المسؤولين في شركة تونسية متخصصة في البرمجيات أن سنة 2017 شهدت استقالة حوالي 80 من المهندسين العاملين في الشركة بسبب عروض أوروبية مغرية.

وسجلت شركة بنكية مهمة في تونس استقالة 20 مهندس إعلامية بغرض السفر للعمل في الخارج. وأكد لنا ذلك المهندس «عماد» الذي التقيناه وهو يستعدّ لالتحاق بعمله في فرنسا،

مشيرا إلى أنه سيحصل هناك على ستة أضعاف راتبه في تونس.

ومن ناحية أخرى، شهدت هجرة الأساتذة الجامعيين، تطورا كبيرا في السنوات الأخيرة بلغت حسب الإحصائيات الرسمية 8 آلاف إطار من التعليم الجامعي من بينهم 1464 أستاذا جامعا (منهم 136 أستاذا من صنف «أ»). وبالنسبة إلى الكفاءات التونسية من العلماء ذكرت إحصائية سابقة أن عددهم يقارب 4200 عالم تستقطب فرنسا 31% منهم تليها كندا بـ 3% ثم الولايات المتحدة بـ 11% ثم ألمانيا بـ 10%. وهناك من العلماء التونسيين من يعمل بوكالة الفضاء الأمريكية وبمخابر الفيزياء النووية بالولايات المتحدة وبمخابر علمية أوروبية وكندية.

لظاهرة أسبابها

لهجرة الكفاءات التونسية حسب الدراسات المتاحة سببان رئيسيان أولهما الإغراءات المادية المعروضة من المؤسسات المنتدبة في ظل تدني الرواتب في تونس. وعلى سبيل المثال يذكر تقرير لعمادة المهندسين أن معدّل أجور المهندسين في المغرب يساوي 4 أضعاف متوسط أجور المهندسين في تونس وفي الأردن يساوي الضعف. وفي بلدان الاستقطاب مثل فرنسا وبلجيكا وكندا يساوي الأجر 6 أضعاف ونصف الأجر في تونس.. وتؤكد دراسة أجراها مركز تونس للبحوث الاستراتيجية نُشرت في شهر أكتوبر من السنة الماضية أن 55% من عينة الدراسة تعتبر السبب المادي السبب الرئيسي للهجرة. أما السبب الثاني فيتعلق بالمناخ العلمي المريح والمتطور الذي تتيحه بلدان الإقامة للباحثين وما يتوفر فيه من وسائل البحث العلمي، هذا إضافة إلى البطالة التي تمس أصحاب الشهادات العليا من بينهم 4740 مهندسا و1500 طبيب (إحصائيات 2016) وكذلك البيئة العلمية والثقافية والاجتماعية التي لا تولي في تونس قيمة للمتميزين من الخريجين ولا تمنّ تألقهم في العمل. فلا وجود لمخابر بحث تستقطب

الباحثين برواتب مغرية وتوفّر لهم مستوى عيش مناسب وحتى إن وُجدت هذه المخابر فهي تفتقر إلى الإمكانيات المادية والأكاديمية التي تضمن بيئة علمية ملائمة تساهم في نجاح البحوث التي يقوم بها هؤلاء.

ولا يمكن أن نتغافل في النهاية عن الدور الذي يلعبه الأولياء في دفع أبنائهم نحو الهجرة وبشئى الطرق. سألنا أحدهم، وهو رجل أعمال، له ابنة طالبة تدرس الطب في رومانيا وابن مهندس في الإعلامية يعمل في فرنسا فقال: «هدفي ضمان مستقبل زاهر لأبنائي بحصولهم على ما يتمنون، وهذا لا يتحقق لهم إلا في الخارج». يشاطر اليوم تفكير هذا الولي العديد من التونسيين.

هل من حلول؟

رغم أن هجرة الكفاءات هي في الواقع خسارة للتنمية في تونس إلا أن العديد من الملاحظين يطرحون تساؤلا واحدا هو كيف نغلق الخسارة إلى إثناء؟ وعلى هذا الأساس يرون من الحلول الاستفادة من مهارات المهاجر وخبراته بربط الصلة العلمية به حتى يتم نقل المهارات التكنولوجية المتطورة في بلد الإقامة إلى مراكز البحث في تونس للمساهمة في التنمية الوطنية، أسوة بتجارب بلدان كجنوب إفريقيا وبعض دول أمريكا اللاتينية والهند. وقد لعبت الكفاءات العلمية الهندية المقيمة في الولايات المتحدة دور الناقل الرئيسي للمهارات التكنولوجية ورؤوس الأموال المستثمرة في الهند وهو نفس الإجراء الذي اتخذته سويسرا لربط الصلة بين مهاجريها في الولايات المتحدة والكفاءات العلمية السويسرية في الداخل. لذلك اتخذت تونس إجراءات تشجّع كفاءاتها بالخارج على بعث المشاريع القائمة خاصة على التكنولوجيات الحديثة وحثّ الباحثين في الخارج على العمل بشراكة مع باحثين في تونس في مجالات البرمجيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصال والبيوتكنولوجيا والطاقة والماء والبيئة والفلاحة وعلوم البحار والصحة والعلوم الاجتماعية والإنسانية. ←

◀ ومع هذا يبقى من الضروري العمل على وقف التّزيف الذي سيؤدّي إلى تصخّر السّاحة العلميّة من نخبها ليحلّ محلّها أشباه العلماء. ويتّفق الباحثون في هذا المجال على القيام بإجراءات مثل تغيير السياسات الوطنية في مجال البحث العلمي والتكنولوجيا لتصبح البيئة الوطنية جاذبة للكفاءات وبعث أقطاب

علميّة بدعم بحوثهم وتشريكهم في كلّ الأنشطة ذات العلاقة باختصاصاتهم وفتح المجال أمامهم للإبداع فرادى أو مجموعات. كما يمكن تشجيع إحداه فروع للجامعات الأجنبية الكبرى في تونس ممّا يضمن لطلبتنا مواصلة الدراسة في بلادهم مع المشاركة في تربّصات خارجية تنمي مكتسباتهم العلمية. ■



هجرة الأطباء مثالا

المعارف بفرنسا، والتي يستأثر فيها التونسيون بأوفر نسب النّجاح.

ففي مناظرة سنة 2017 نجح أكثر من 240 طبيبا تونسياً من بين مجموع الفائزين وعددهم 494 طبيبا في كلّ الاختصاصات. وقد أدرك نجاح التونسيين نسبة عالية في عدد من الاختصاصات (88 بالمائة في طبّ القلب والشرابين و86 بالمائة في التصوير الطّبي و80 بالمائة في الإنعاش الطّبي).

ما هي أسباب هذا التّزيف المتواصل الذي يشكّل أكبر خطر تواجهه المنظومة الصحيّة في تونس؟

من الفئات المهنية التي طالتها بشكل لافت هجرة الكفاءات فئة الأطباء الذين تستقطبهم بالأخصّ بلدان كفرنسا وألمانيا ودول الخليج. وما فتئت هذه الظاهرة في تنام منذ سنة 2011 حيث يفضّل مئات الأطباء العمل بالخارج على البقاء في تونس. ولا يقتصر الأمر على الأطباء الشبان بل إنّ رؤساء أقسام في مستشفيات عموميّة وأساتذة في الطّب يؤثرون هم أيضا البحث عن أفق مهنيّ أفضل في هذه البلدان. ولعلّ من أهمّ المؤشّرات لهذه الظاهرة المتفاقمة مشاركة العديد من الأطباء التونسيين من مختلف الاختصاصات كلّ سنة في مناظرة معادلة الشّهادات ومراقبة

الأزمة تشمل الأطباء بمختلف رتبهم

د. عادل الخياطي
رئيس قسم سابقا
بمستشفى عهومي



د. عادل الخياطي شغل لسنوات عديدة خطة رئيس قسم جراحة القلب والشرابين بمستشفى الرابطة بالعاصمة وخطة رئيس قسم الجراحة بكلية الطبّ بتونس وترأس الجمعية التونسية لأمراض القلب وجراحة القلب والشرابين، وبالتالي يتميز بتجربة واسعة على الصعيدين العملي والأكاديمي.

أكدّ أنّه كان يعتقد اعتقادا جازما، على غرار العديد من زملاء دفعته عند التخرّج، أنّ مسيرته المهنية لا يمكن أن تتمّ إلاّ بالمستشفى العمومي، باعتباره أرضية للتدريس والبحث ولتقديم خدمات علاجية ممتازة بالخصوص.

وذكر أنّ المستشفى العمومي شهد للأسف في السنوات الأخيرة تدهورا ملفتا ولم يعد مواكبا لتطوّر البلاد الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي أضحي عاجزا عن الاستجابة لانتظارات المواطن المريض.

وأشار إلى أنّ الممارسة الطّبيّة في القرن الحادي والعشرين تقوم على حقائق ومعايير وشروط، لذلك فإنّ أيّ هيكل صحيّ مطالب، في مستوى الوسائل، بتقديم أفضل الخدمات للمريض. وقال لما ينعدم هذا الشّريط، فإنّ الطبيب مدعوّ إلى أن «يتأقلم» أحيانا بالتوقّف عن النّشاط أو بالحدّ منه ولكن بقبول عدم التّقدّم في عمله عن مضض والسّعي قدر الإمكان إلى سدّ الثغرات. ←

والحيلولة دون تعكّر حالة المرضى بسبب فقدان الأدوية أحيانا، علما وأنّ العديد منهم قد قضى قرابة عشرين سنة بعد البكالوريا بين المناظرات والامتحانات المختلفة ليجدوا أنفسهم في نهاية المطاف في مثل هذه الأوضاع.

• مستوى الرّواتب التي يتقاضاها الأطباء لا يتناسب البتّة مع ما يقومون به من عمل ويتحمّلونه من مسؤوليات جسام، من بينها السّهر على تكوين الشبان. وفي هذا السياق يجدر التّذكير بأنّ الراتب الذي يحصل عليه طبيب مقيم لا يتجاوز الألف دينار شهريا، في حين أنّه مطالب بالعمل مدّة أربعين ساعة في الأسبوع في ظروف صعبة للغاية.

• حالة الفوضى السائدة في عدّة مستشفيات عموميّة بسبب عدم الالتزام بالقانون المنظّم للنشاط الخاصّ التكميلي، ممّا يؤثّر سلبا في نوعيّة الخدمات المسداة للمرضى وكذلك في جودة تكوين الأطباء الشبان ويفسح المجال لكلّ التجاوزات.

وبقدر ما يثمن د. م مستوى أطبائنا الرفيع باعتبارهم نخبة النّخبة، ممّا يؤهلهم للعمل في الخارج، فإنّه يلفت النّظر إلى ضرورة إيلاء مسألة التكوين الذي يتمّ أساسا في المستشفى ما تستحقّه من بالغ الأهمية لتجنّب انحدار المستوى في السنين القادمة.

كما يشير إلى الصّعوبات الجمة التي أصبح يلاقيها كلّ طبيب يقتحم مجال العمل في القطاع الخاصّ والمتمثلة في الاكتظاظ الذي يشهده هذا القطاع وارتفاع الأعباء المالية المترتبة عن فتح العيادة واستمرارها وطول المدّة التي يتطلّبها كسب الحرفاء والتنافس غير الشّريف النّاجم عن النّشاط الخاصّ التكميلي، علاوة على زيادة في الأداءات الموظّفة على مداخل الأطباء وفق ما جاء في قانون الماليّة لسنة 2018.

أوضاع كارثية في المستشفيات العمومية

د.ر.
رئيس قسم سابقا
بمستشفى عهومي



د.م الذي شغل لسنوات عديدة خطة رئيس قسم بمستشفى عهومي قبل بلوغه سنّ التقاعد سنة 2013 يرى أنّ لهجرة الكفاءات الطّبيّة التونسية أسبابا عدّة تتلخّص فيما يلي :

• شعور الأطباء بتقلّص هيبتهم واهتزاز مكانتهم في المجتمع جرّاء ما استهدفهم في السنوات الأخيرة من حملات شيطنة وتجريم في بعض القنوات الإذاعية والتلفزيونية التي انتهجت أسلوب الإثارة لجلب اهتمام المتلقّي من خلال التّركيز على الأخطاء الطّبية عند وقوعها، ممّا جعل الأطباء محلّ شكّ وريبة في نظر المرضى وأسره، ومسؤولين عن أيّ حالة وفاة تحدث.

• عدم قدرة الأطباء على الاضطلاع بمهامهم في ظروف طّبيّة، بالنظر إلى انعدام الأمن في المستشفيات وتفاقم ظاهرة العنف المادي واللفظي ضدّ الإطار الطّبي وشبه الطّبي، فلا أحد اليوم يحمي الطبيب أو العامل في المستشفى، بما في ذلك وزارة الصحة التي تعاني هياكلها من قصور كبير، بالإضافة إلى تدهور حالة التّجهيزات والفضاءات الصحيّة وعدم توفّر أطباء أخصائيين بالعدد الكافي في بعض الأقسام. وممّا زاد في تعكير الوضع، غياب الانضباط وتنامي ظاهرة الإفلات من العقاب بسبب تجاوزات بعض النقابات، وهو ما يجعل رئيس القسم فاقدا للسيطرة على الأمور.

وممّا يحزّ في النفس أن يقف الأطباء عاجزين عن مجابهة أوضاع كارثية

”النجمة التي عينها علينا، تأميناتها تحمينا كلّ ما بنينا وعلينا“

وذكر أنّه من الخطأ الاعتقاد أنّ من أسباب هذه الظاهرة نقص الإمكانيات والتجهيزات في المستشفيات، بل إنّ بعض هذه التجهيزات غير مستغلة الاستغلال الأقصى، على حدّ تعبيره.

وقال إنّ من الصعب صرف رواتب عالية للأطباء تضاهي تلك التي تعرضها بلدان غربية ودول الخليج، غير أنّه من المتأكد السعي بجديّة إلى الحفاظ على نسبة من كفاءاتنا الطبية وإلى الحدّ من هجرة الأدمغة التونسية بصفة عامّة ومن بينها أساتذة جامعيون كبار تستقطبهم المؤسسات الجامعية الخليجية في حين أنّ البلاد في حاجة ماسّة إليهم.

وأشار إلى أنّ الإشكالية القائمة تكمن في انعدام سياسة إرادية لمجابهة هذه القضية بطريقة استراتيجية، فضلا عن غياب حوار وطني بشأنها.

وذكر د. المطيراوي أنّ المجتمع لم يحم نفسه من قانون السوق وقاعدة العرض والطلب، مبرزا ضرورة إيجاد آليات حماية منها :

- التفكير في بعث سلك خاصّ بالأطباء لكي يتسنّى ملائمة الأجور مع متطلبات السوق كما وقع في المغرب منذ بعض السنوات

- عدم استبعاد نظام الخدمة المدنية لمُدّة معيّنة على غرار ما هو معمول به في بلدان المغرب العربي وبلدان عمل بها في إفريقيا جنوب الصحراء.

- كما يمكن، في نظره، إيجاد حلول أخرى لحماية المجتمع وتوفير الخدمات الطبية الضرورية للتونسيين في السنوات القادمة إذا تمّ اللجوء إلى حوار وطني لتحديد الاستراتيجية المثلى. ■

أطباؤنا الشبان تربّوا على الحلم بالهجرة

د. علي المطيراوي
رئيس جامعة
سوسة



من الأطراف الأساسية المعنية بقضية هجرة الأطباء المؤسسات الأكاديمية التي تكوّن الأطباء ونقصد كليات الطب. لذلك استطلعنا وجهة نظر د. علي المطيراوي رئيس جامعة سوسة والذي سبق له أن كان عميدا لكلية الطب بهذه المدينة.

أكد هذا الطبيب الجامعي أنّ هجرة الأطباء التونسيين مدعاة للانشغال وأنّ ما يثير حقًا الحيرة والقلق تفاقم هذه الظاهرة لدى الشبان، فما إن يحصل هؤلاء على الشهادة حتى يصبح الالتحاق بالخارج غاية الكثير منهم، بعد أن تربّوا على الحلم بالهجرة، وفي ذلك خسارة للمجموعة الوطنية، إذ تبلغ كلفة تكوين الطالب في الطبّ 20 ألف دينار في السنة طوال فترة التكوين الأساسي وتتضاعف هذه الكلفة خمس مرّات في فترة الاختصاص.

وأوضح د. علي المطيراوي أنّ انعكاسات الهجرة تطال اختصاصات ثقيلة وعلى سبيل المثال التخدير والإنعاش وكذلك التصوير الطبي، ممّا قد يسبّب للبلاد نقصا في هذه الاختصاصات في الأعوام القادمة، مضيفا أنّ القطاع الطبيّ محكوم بقانون السوق، فبلدان غنيّة كفرنسا وألمانيا ودول الخليج تغري أطباءنا للعمل فيها حيث بإمكانهم أن يحصلوا على راتب يمثّل عشر مرّات راتبهم في تونس، علاوة على التمتع برفاه العيش ورغد.

وقال الدكتور عادل الخياطي إنّ سبب تدهور ظروف العمل أصبح من الصعب القيام بمهمّتي الطبيب والمكوّن على أساس احترام مبادئ الممارسة الطبية السليمة.

ويبيّن بكثير من المرارة أنّه كان مجبرا على مواجهة حالة اضطراب مساعديه ولا سيّما الشبان منهم، فبدل أن تُستعرض في اجتماعات الفريق الطبيّ في الساعة الثامنة صباحا الحالات الاستعجالية المسجّلة في الليلة السابقة وطرق التكفّل بها يتناول الحديث الأعطال والغيابات، فلا يحتلّ الحوار العلمي إلا مرتبة ثانوية.

ولاحظ أنّ من نتائج هذا الوضع الجمود العلمي وانحسار الجانب الأخلاقي على نطاق واسع، مشيرا إلى أنّ هذه الأزمة شملت كلّ الأطباء مختلف رتبهم، فنزع الشبان منهم إلى الهجرة وآثر الذين يكبرونهم سنا العمل في القطاع الخاصّ وأصبح كبار السنّ من الأطباء يجتازون الامتحانات للالتحاق بأوروبا.

وأوضح د. عادل الخياطي أنّه أضطرّ، إرضاء لضميره حتّى لا يقبل بكلّ الإخلالات وتحمل تبعاتها، أن يغادر المستشفى العمومي الذي يمرّ اليوم على دخوله إليه 37 سنة، وأن يضع حداً لمسيرته الاستشفائية والجامعية، إثر حياة زاخرة بالنشاط في المستشفى وكلية الطبّ والجمعيات العلمية، متخليًا عن «كلّ امتيازاته، بما في ذلك رتبته كأستاذ في الطبّ».

هذه الشهادة التي يستشفّ منها الشعور بالحسرة والمرارة تكشف عن واقع أليم: نفور خيرة أطبائنا من القطاع العمومي وتخليهم مكرهين عن مهمّتي العلاج والتكوين فيه، ممّا يغدّي لدى الشبان النزعة إلى الهجرة.

اختراروا طريق الهجرة

ولإدراك الأسباب العميقة التي تقف وراء هجرة الأطباء، ولا سيما الشبان منهم، رأينا من المفيد أن نعرض شهادات أربعة منهم اختاروا العمل بفرنسا بعد نجاحهم في المناظرة التي تخوّل لهم مباشرة المهنة في هذا البلد.

لا بدّ من إرادة سياسية قوية

د. مروى بن صالح
اختصاص طب عار



تبلغ د. مروى بن صالح حرم الساييس (اختصاص طب عام) من العمر 30 عاما. حدّدت بكثير من الدقّة والتفصيل الأسباب التي دعته شخصياً إلى اختيار فرنسا لاستكمال الدراسة في الطب والعمل وهي بالخصوص:

- ارتفاع عدد ساعات العمل بالنسبة إلى الأطباء المقيمين والداخليين المباشرين إلى أكثر من 36 ساعة دون انقطاع ودون أن تتبعها راحة تعويضية على غرار ما يتمتع به الممرضون والقوابل مثلاً.
- ضغط العمل في الأقسام الاستشفائية إضافة إلى العمل البحثي والدراسي الذي لا يتوقف.
- هشاشة وضع الأطباء المقيمين والداخليين حيث لا يتمتعون بقانون أساسي ينظّم عملهم فيحدّد واجباتهم نحو المريض ولكن في نفس الوقت يضمن حقوقهم ويحميهم من كل تجاوز أو مظالم. وللعلم فإن مشروع القانون الخاص بالأطباء لم يصدر إلى حدّ الآن رغم الاحتجاجات والإضرابات وغيرها من التحوّلات من أجله.
- ضعف الراتب الشهري المسند للطبيب الداخلي والمقيم وعدم تناسبه مع الجهد الذي يبذله

الجديدة بما عايشته في بلادي. كما أنّ ما عرفته بنفسي وما بلغني من الأصدقاء عن تردي الأوضاع في ميدان الصحة في تونس من تدهور ظروف العمل واهتراء المعدات ونقص الآلات الضرورية، علاوة على ذلك موجة الاستقالات من المستشفيات الجامعية وذهاب العديد من الكفاءات الطبية إلى الخارج، دون أن ننسى موجات العنف والتهجمات على الأطر الطبية في أغلب المستشفيات، كل ذلك أكّد شعوري بتأزم الوضع الصحي. ممّا جعلني أفكر جدياً في الهجرة: وتقدّمت إلى مناظرة معادلة الشهادات ومراقبة المعارف، ونجحت بتفوّق ممّا يحسب طبعاً لمدرستنا العمومية، مدرسة الجمهورية التونسية التي أتشرف دائماً بالتذكير بأبي أحد أبنائها.

وحيثما شعرت بشيء من المرارة، رغم فرحتي بالنجاح: لأنني سأملك هنا واشتغل في فرنسا في حين أنني لست من الجاحدين لفضل وطني في تكويني وتنشئتي، لكنني على يقين أنني استطيت المساهمة في تحسين وضع الصحة في بلادي من موقعي هذا وذلك أفضل من العودة والانخراط في العمل في وضع أقلّ ما يقال فيه اتسامه بانعدام النجاعة والافتقار إلى رؤية استراتيجية واضحة في جلّ الميادين. وهذا عمل شاقّ ولا يمكن أن يتم إلا في ظلّ هدوء سياسي واجتماعي وهو ما لا يتوفّر الآن في بلدي. فكيف للطبيب أن يخفّف الآلام وهو يفتقر إلى أبسط مستلزمات مهنته؟ لذلك قرّرت العمل في فرنسا والتمكّن من طرق العمل الحديثة، ولكنني لن أدخر أي جهد في إفادة وطني بكلّ ما أوتيت من معرفة وخبرة حتّى يصبح هذا القطاع لا يقلّ نجاعة عمّا هو عليه في أيّ بلد أوروبي متقدّم.

كيف للطبيب أن يخفّف الآلام وهو يفتقر إلى أبسط مستلزمات مهنته؟

د. هاشم محجوب
مختص في جراحة العظام والمفاصل



د. هاشم محجوب، مولود سنة 1982، مختصّ في جراحة العظام والمفاصل نجح في مناظرة معادلة الشهادات ومراقبة المعارف بفرنسا لسنة 2017، ممّا يتيح له العمل في البلد. يقول عن هجرته:

«لم يكن يخطر ببالي بتاتا أن أهاجر أو أن أقيم في أي بلد أجنبي. فأنا طبيب جراح شابّ زاولت تعليمي في المدرسة العمومية التونسية، وفي كلية الطب بتونس، كما تلقّيت تكويني في المستشفيات العمومية التونسية وعلى أيدي كفاءات طبيّة تونسية جديرة بكل احترام وتقدير والحقّ يقال.

إثر إنهاء تخصّصي ارتأيت أن أقوم بتريّص لفترة في مستشفى فرنسي لتحسين مؤهلاتي وتجويد تكويني في انتظار حصولي على وظيفة في المستشفى في بلادي. وأثناء تربيّصي اكتشفت ظروف العمل هناك وهي لا تتمثّل فقط في التجهيزات والبنية التحتية بل هي منظومة متكاملة لكل فرد فيها دوره وواجبه يؤدّيها بكلّ تفان و إتقان... والإنسان هناك مهما كان هو محلّ اهتمام وتبجيل.. ومناخ العمل يسوده الاحترام والمرونة.. ممّا جعلني أقرن هذه التجربة



BH INVEST
Intermédiaire en Bourse

SICAV BHO
SICAV BH OBLIGATAIRE

Immeuble Assurances SALIM, Centre Urbain Nord - 1003 Tunis
Tél.: +216 71 948 545
www.bhinvest.com.tn
bh invest

VOTRE PARTENAIRE CAPITAL



WORLD
M A S T E R C A R D®

Un univers de privilèges pour une carte d'exception



Pour ceux qui pensent que la vie est une découverte de tous les instants, nous avons créé la carte MasterCard World. Répondez à l'invitation et laissez l'univers de MasterCard World vous inspirer. Vous y gagnerez tout un monde d'expériences, de cultures, d'aventures et de découvertes.



Retrouvez nos pages officielles ATB TUNISIE

Des professionnels à l'écoute



ATB
البنك العربي لتونس

والتقدير تجاهه لكنّه يشعر بالإهانة في أشياء بسيطة يعيشها في حياته المهنية مثل حالة غرفة الاستمرار التي يستعملها، إضافة إلى عدم وجود وحدة صحية لائقة، فضلا عن وجبات الطعام المزرية التي تقدّم له والراتب الضعيف الذي لا يتماشى مع حجم ساعات العمل وحصص المداومة التي يقوم بها الأطباء الداخليون وهي غير مدفوعة الأجر بينما حصص المقيمين مدفوعة الأجر لكن بعد تأخير ويحصل أحيانا أنّها لا تدفع. ومن الأسباب الأخرى حسب د. سلمى معلّى انتشار الفساد في المنظومة الصحية وغياب المراقبة واتخاذ المسؤولين القرارات بصفة أحادية مسقطه على الأطباء الشبان الذين لا يتمّ تشريكتهم في صياغتها وإن تمّت دعوتهم إلى اجتماعات ما فذلك صوري إذ ليس لهم أيّ وزن.

وسألنا د. سلمى معلّى عمّا إذا كانت تنوي العودة إلى تونس في يوم من الأيام فقالت :

«إني انتظر إتمام تكويني العلمي وأمنيتي العودة لتغيير الأوضاع في قطاع الصحة العمومية في تونس. لكن كلّما تقدّمنا في الزمن أشعر بعجزني عن القيام بأيّ شيء لتغيير الأمور.

وأبرزت في النهاية وجوب مزيد الاهتمام أكثر بالأطباء الشبان وتوفّر إرادة في التغيير بدل انتهاج سياسة شعبية في المجال الصحي، علاوة على إرساء منظومة مراقبة تطبّق على الجميع : أطباء القطاع العام وأطباء القطاع الخاص والإطار شبه الطبيّ والإطار الإداري...مع الحرص على وضع نظام عمل قائم على تحديد الأهداف والتقييم ثمّ التعديل إن لزم الأمر. كما يتعيّن في نظرها مراجعة تأجير الأطباء، ملاحظة أنّ الأمر المادّي-على أهميته- لا قيمة كبيرة له عندها بقدر ما يهّمها هو أن تبني ذاتها من خلال عملها.←

لم يتم بناء منظومة صحية تحافظ على كفاءاتها

د. سلمى معلّى
مختصة في التصوير الطبي



د. سلمى معلّى طبيبة مختصة في التصوير الطبي، عمرها 32 عاما، تعمل حاليا بأحد المستشفيات في فرنسا. عن الأسباب التي دفعتها إلى الهجرة قالت إنّها عديدة منها عدم الشعور بالرفاه العلمي في تونس إذ لم يتم بناء منظومة صحية عمومية تحافظ على كفاءاتها، بل هي منظومة لا تتوفّر فيها موارد بشرية ومالية كافية وبنية تحتية ملائمة لذلك يهجرها الأطباء. وأضافت : «كما أنّ المستشفيات تعاني من النقص في الأطباء ممّا اضطرّ الوزارة إلى الزيادة في عدد المنتدبين من الأطباء الشبان دون أن تأخذ في الاعتبار الديموغرافيا الطبية أو الحاجيات المجتمعية على المدى المتوسط وعلى المدى البعيد. وهذا يعرض القطاع إلى خطر من حيث الاكتظاظ وهو بدوره سبب من أسباب هجرة الأطباء، في حين أنّ القلّة من الأطباء الكبار الباقين على رأس عملهم يجدون صعوبة في التوفيق بين مهمّتهم الطبية ومهمّتهم الأكاديمية والجامعية، ممّا يجعلهم عاجزين عن أداء مسؤولياتهم العلمية والتكوينية وبالتالي يغادرون الصحة العمومية.

وذكرت د. سلمى معلّى أنّ من الأسباب أيضا عدم وجود ما ينبئ بتحسّن ظروف العمل في المستقبل القريب أو البعيد من ذلك غياب الصيانة للتجهيزات الطبية وغياب مراقبة الجودة، علاوة على التأخر في المجال التكنولوجي الطبيّ والتعطيلات الإدارية والمعاملة السيئة التي يلقاها الأطباء. وأكّدت أنّ الطبيب محتاج إلى الشعور بالاحترام

← حيث أنّه لا يوفّر مقومات العيش الكريم خاصة وأنّ دراسة الطبّ مكلفة للعائلات ومرهقة للطالب، إضافة إلى اتّساع فجوة التأجير بين القطاع العام والقطاع الخاص رغم أنّ الأطباء يحملون نفس الدرجة العلمية ورّمّا تخرّجوا معا.

كل هذه الظروف والنقائص وساعات العمل المرهقة تسبّب في حدوث الأخطاء وعندما تحصل فإنّه يقع تحميلها إلى الحلقة الأضعف في المنظومة القائمة وهي المتكوّنة من الأطباء المقيمين والدخليين.

وبخصوص الحلول التي تقترحها د. مروى من موقعها تقول إنّها لا تحتاج إلى اعتمادات مالية إضافية من طرف الدولة، تاركة جانبا الحديث عن الأجور بما أنّ الجميع يتحدّث عنها خاصة إذا علمنا أنّ وضع البلاد الاقتصادي لا يسمح بذلك. وفي هذا الصدد تؤكد أنّ الأمر يستدعي إرادة سياسية قوية حقيقية لا غير للعمل على تحقيق الآتي :

- سنّ قانون أساسي للطالب الطبيب ، للطبيب الداخلي وللطبيب المقيم والمصادقة عليه في أسرع وقت ممكن.
- ضمان سلامة الفريق الطبي وشبه الطبي خلال أوقات العمل وخاصة أثناء حصص الاستمرار في كلّ المؤسسات الصحية.
- استشارة الطلبة والأساتذة حول إعادة النظر في منظومة الامتحانات والمناظرات وخاصة منها المتعلقة بالاختصاص وتركيز العمل بدرجة أكبر على طبيب العائلة.
- الاشتغال على تحسين العلاقة بين الأطباء والمرضى وبنائها على الثقة والاحترام المتبادل من خلال التحسيس عبر وسائل الإعلام.
- تحسين التصرف في الموارد البشرية والوسائل قصد ضمان ظروف عمل محترمة.

حتى لا نلتجئ إلى القيام بتعويضات لتكملة الراتب الرمزي الذي يعطيه لنا المستشفى». والمطوب حسب د. منعم التركي أن تقوم الدولة بانتدابات قارة وانتداب أطباء اختصاص بروتاب معقولة والسماح للمستشفيات بانتداب أطباء حسب حاجتها، مع إمكانية التصرف في قيمة الرواتب وانتداب مقيمين في المستشفيات الداخلية. كما أن الدولة مدعوة إلى تحسين البنية التحتية والتجهيزات ورفع من الرواتب وخاصة بالنسبة إلى العاملين في المدن الداخلية. وأكد من ناحية أخرى ضرورة أن تصبح حصص الاستمرار بأجر وأن يتم إيقاف العمل بقانون الخدمة الوطنية وأن تجري الإصلاحات بالشراكة مع الأطباء. وختم بقوله: «على الدولة أن تعلم أن هجرتنا هي ضد إرادتنا الشخصية. فأنا أرفض القيام بالخدمة المدنية التي فرضها علينا السياسيون. وهذا إجراء لا يطبق إلا في البلدان المتخلفة أما الدول المتقدمة كالدول الأوروبية فإن سياسيتها يعلمون أن الأطباء تعلموا واجتهدوا للحصول على رواتب تتناسب مع 12 سنة من التكوين. وأنا مستعد للعودة غدا إذا عبرت الدولة عن حسن نواياها تجاهنا، «ساقى أعلى من راسي»! ■

ومن الأسباب أيضا عدم تقدير المجهودات المضنية التي بذلها الطبيب لمدة تمتد من 7 إلى 12 سنة من الدراسة دون عطل بهدف امتحان مهنة إنسانية ولعيش حياة محترمة وتكون له مكانة في المجتمع لكن الدولة تجبره حال تخرجه على القيام بخدمة وطنية لمدة سنة يحصل فيها على راتب بـ 700 د. ويتساءل د. منعم التركي: هل هذه الطريقة المثلى لتشجيع الطبيب على العمل في المستشفيات العمومية؟

وأشار إلى أن الدولة وضعت استراتيجية للمحافظة على الأطباء دون استشارة المعنيين والهدف منها في الواقع هو منع الأطباء من تلقي تكوين في الخارج.

وقال: «أنا على استعداد للعودة إلى الوطن لأن حلمي أن أعمل في المستشفيات العمومية التونسية وسأكون أول العائدين عندما تنطلق إجراءات الإصلاح وتغير الدولة استراتيجيتها وترصد للأطباء رواتب مشجعة ومعقولة. ولم لا يتم العمل في مستشفياتنا كامل اليوم من 8 صباحا إلى 6 مساء مثلما يجري في العالم

مستعد للعودة غدا إذا عبرت الدولة عن حسن نواياها تجاهنا

د. منعم التركي
مختص في التصوير الطبي



د. منعم التركي بالغ من العمر 34 سنة طبيب مختص في التصوير الطبي مقبل على العمل في فرنسا بعد نجاحه في آخر مناظرة لمعادلة الشهادات ومراقبة المعارف. من أسباب اختياره الهجرة حالة المستشفيات في تونس والبنية التحتية والتجهيزات المترددة والنقص في الأدوية. كما أشار إلى ما اعتبره استغلالا للطبيب في فترة تكوينه ذلك أنه يقوم خلال سنتي الطب الداخلي بكل شيء فهو العامل والطبيب والممرض. كما يقوم بحصص الاستمرار دون مقابل، كل ذلك لا يحصل على أيام راحة تعويضية.

أخطر مشكل تواجهه المنظومة الصحية في تونس

- تدهور ظروف العمل في المستشفيات والرج بكفاءات في وسط يصعب التعامل معه.
- تنامي ظاهرة العنف المادي واللفظي المسلط على الأطباء وتعرضهم للقدح والذم، فضلا عما يواجهه الشبان منهم - وهم ضحايا المنظومة - من حكم على النوايا وسوء فهم بينما كان من المفروض تشجيعهم وشد أزهم.
- الفوارق الكبيرة بين دخل الطبيب في القطاع العام ودخل الطبيب في القطاع الخاص من جهة، ودخل الطبيب الذي يبقى في تونس ودخل الذي يعمل بالخارج، من جهة أخرى.
- ضبابية المشهد الصحي في نظر الأطباء الشبان إذ يلاحظون تدهورا مستمرا لأوضاع القطاع ولا يرون في الأفق بوادر إصلاحات أو مراجعات للتهوض به، وذلك في غياب خطاب وسياسة بوضوح طريق المستقبل ويرسمان معاملة. وأكدت د. حبيبة الميزوني أن الحلول تنبع من تشخيص الظاهرة وتمثل حسب رأيها في ما يلي:
- توجيه رسالة قوية وذات مصداقية إلى الأطباء ولا سيما الشبان منهم.
- تحسين ظروف العمل في المستشفيات وإعادة النظر في نمط اشتغالها والتصدي للعنف المسلط على الإطار الطبي والإطار شبه الطبي.
- مراجعة سياسات التأجير بالنسبة إلى الأطباء وعدم الاكتفاء بمجرد زيادة في الأجور. ■

د. حبيبة الميزوني
الكاتبة العامة للنقابة العامة للأطباء الجامعيين



أكدت د. حبيبة الميزوني الكاتبة العامة للنقابة العامة للأطباء الجامعيين أن هجرة الكفاءات الطبية تمثل بدون منازع أخطر مشكل تواجهه المنظومة الصحية في تونس، إذ من السهل اقتناء التجهيزات وتطوير البنية التحتية ولكن من الصعب توفير الموارد البشرية بعد تأهيلها، قائلة إن البلاد تخسر اليوم أفضل أطبائها المختصين الشبان والذين يبلغ معدل فترات تكوينهم 15 سنة في حين يبلغ هذا المعدل 20 سنة بالنسبة إلى المبرزين في الطب. ولاحظت أن هذه الخسارة لا تكمن في التكوين فحسب بل وكذلك في الخدمات التي يمكن أن يقدمها هؤلاء الأطباء طوال مسيرتهم المهنية الممتدة على مدى عشرين سنة وأكثر. وأشارت د. حبيبة الميزوني إلى أن هذه الهجرة كثيفة الحجم ومتعددة الوجوه ومن بينها بالخصوص فرنسا وألمانيا وبلدان الخليج وتعود، في تقديرها، إلى الأسباب التالية:



نهتم بتونس

TUNISIA
TOUR

أمي للتأمين
AMI Assurances

www.amitunisiatour.net

Tournée conçue et développée par Tunivisions Group

Votre banque en ligne par excellence

La Solution **BNA C@sh Management**, proposée en Pack Business et Pack Business Plus, offre aux Entreprises et Groupes d'Entreprises, une panoplie d'avantages et de services personnalisés leur permettant le pilotage et la gestion en ligne de leurs flux de trésorerie et de leurs activités en Tunisie et à l'international, en temps réel et en toute sécurité.

BNA C@sh Management permet la gestion des droits d'accès et de validation des différentes opérations et transactions effectuées.

Pack Business

- Consultations de comptes, placements, Engagements ainsi que les opérations monétique.
- Gestion du portefeuille financier et commercial
- Téléchargement des documents bancaires et comptables
- Exécution des virements ponctuels et des virements de masse

Pack Business Plus

Outre les services du Pack Business, d'autres fonctionnalités sont offertes :

- Consultation des Remises et des Crédits Documentaires
- Téléchargement des Swift
- Exécution des virements en devises
- Consultation des soldes et des mouvements AVA
- Commande de Devises

هجرة الأطباء قبل فوات الأوان، مع العلم وأنه قبل 2011 كانت هجرة الأطباء منظمة في إطار تعاقدي مع بلدان الخليج العربي ونسبتها ضئيلة وكانت محدودة في الزمن، أما الهجرة حالياً فهي تخص ثلاثة أصناف من الأطباء على الأقل وهي :

- أولاً، الأطباء حديثو التخرج الذين يهاجرون إلى ألمانيا التي فتحت أبوابها على مصراعيها للأطباء التونسيين لتكوينهم في اختصاصات معينة وللعمل في أماكن محددة في ألمانيا،
- ثانياً، الأطباء المقتدرين والمختصون في عدة اختصاصات طبية وجراحية بعضهم من القطاع العام والبعض الآخر من القطاع الخاص والذين يختارون الهجرة إلى أوروبا أو إلى بلدان الخليج العربي للعمل في إطار تعاقدي ولفترات زمنية متفاوتة وقد يستقر بعد ذلك الكثير منهم في بلدان الإقامة،
- ثالثاً وحديثاً، الأطباء الكبار في الخبرة والسن من بين خيرة رؤساء الأقسام الاستشفائية والجامعية والأساتذة المحاضرين.

النقطة الإيجابية والمضيئة هنا أنّ الطبيب التونسي معروف بمستواه العلمي والإنساني ومحبوب في كل بلدان العالم، التي تسعى جاهدة إلى إغرائه وإلى استقطابه للعمل لديها خلافاً لما هو حاصل أحياناً في بلدنا، وقد يرجع تفاقم ظاهرة هجرة الأطباء أساساً إلى تدهور ظروف العمل في المؤسسات الاستشفائية العمومية وإلى قلة الموارد البشرية والمعدات والإمكانيات المادية والحوافز، زد على ذلك حملات الشيطنة المتكررة والممنهجة أحياناً والتي تستهدف الأطباء وتجعلهم عرضة إلى العنف اللفظي والجسدي خاصة في غياب تأمين أفضل لمكان العمل وفي غياب قانون يجرّم هذه الاعتداءات، بالإضافة إلى تدهور المقدر الشرائية لأطباء القطاع العام ولعدد كبير من أطباء القطاع الخاص في حين تؤمّن لهم بلدان الاستضافة مناخاً مناسباً للعمل وإمكانيات تقنية جيدة تتيح لهم التدرج العلمي والتكوين المستمر بالإضافة إلى الرواتب المغرية والتي تصل بالنسبة إلى كبار الأطباء منهم إلى أكثر من عشرة أضعاف مرتباتهم في تونس وبالعملة الصعبة.

أمام هذه الهجرة المكثفة وغير المسبوقة للأطباء فإنه من المنتظر أن نسجل نقصاً فادحاً في عدد الأطباء الممارسين في بلدنا في السنوات القليلة القادمة وتفادياً لحصول ذلك أتعهد وزملائي بالمجلس الوطني لعمادة الأطباء ببذل كل ما في وسعنا لتوفير أحسن الخدمات الطبية لمواطنينا ونتعهد أيضاً بالضغظ على كل المتدخلين في قطاع الصحة لإيجاد الحلول الملائمة قبل فوات الأوان. والبداية ستكون بالضغظ على وزارة الصحة وعلى وزارة التعليم العالي وعلى كل المنظمات والهيئات الوطنية والنقابية الفاعلة في المجتمع المدني لتحسيسها بخطورة الوضع وكلنا أمل في تفادي المكروه إن شاء الله. **إ.إ.**

أرقام مذهلة

د. منير يوسف مقني
رئيس المجلس الوطني لعمادة الأطباء



أما د. منير يوسف مقني رئيس المجلس الوطني لعمادة الأطباء فهو يلفت النظر - استناداً إلى الأرقام - إلى خطورة هذه الظاهرة التي ما فتئت تتفاقم، واعداء بالضغظ على المتدخلين في قطاع الصحة لإيجاد الحلول الملائمة قبل فوات الأوان.

يقول د. منير يوسف مقني : « في الآونة الأخيرة كثر الحديث عن ظاهرة هجرة الأطباء مما جعلنا نولي هذا الموضوع كل الاهتمام وقمنا تبعاً لذلك بالتحري للوقوف على حقيقة الأمر، وأمام غياب سجل وطني لرصد هجرة الأطباء التونسيين قمنا باحتساب عدد شهادات حسن السيرة المسلمة للأطباء وبطلب منهم قصد الاستظهار بها لدى السلطة المعنية بالبلدان المستضيفة قبل الترخيص لهم بالعمل هناك. ونحن نعتقد في العمادة أنّ عدد شهادات حسن السيرة المسلمة يتساوى تقريباً مع عدد الأطباء المهاجرين.

احتسبنا الشهادات المسلمة للغرض على امتداد خمس سنوات من 2013 إلى 2017 وكانت النتيجة مذهلة ومعبرة عن تنامي هذه الظاهرة من سنة إلى أخرى، حيث لم نسلّم في 2013 إلا 58 شهادة مقابل 926 ترسيماً جديداً بجدول العمادة مما يمثل نسبة 6% في حين وصل عدد شهادات حسن السيرة 435 في سنة 2017 مقابل 1000 ترسيم جديد مما يمثل 43% والفرق واضح ومخيف.

وإذا تعمقنا في الأرقام وقارناً نسبة زيادة عدد المترشحين للهجرة من سنة إلى أخرى نجد زيادة أقلها 47% سنوياً في حين أنّ معدّل الترسيم بجدول العمادة مستقر، وإذا تواصل نسق الهجرة على نفس الوتيرة فقد يصل عدد الأطباء المهاجرين في سنة 2018 إلى 630 طبيباً وفي سنة 2019 إلى 914 طبيباً وهكذا دواليك إلى أن يتجاوز 2700 طبيب سنة 2022 ممّا قد يؤثّر حتماً على التوازن الحالي وقد يجعل بلدنا في حاجة ماسّة إلى استجلاب الأطباء من الخارج لتأمين الحاجيات الأساسية للخدمات الطبية.

هذا ما جعلنا نطلق في الآونة الأخيرة ناقوس الخطر أمام تفاقم هذه الظاهرة الخطيرة للوقوف على أسبابها ومعالجتها وللحد من نزيف

حزمة من الإجراءات لفائدة الأطباء

- السماح لأطباء الاختصاص بالقيام بحصص استمرار في 24 مستشفى جهويا في المناطق ذات الأولوية. ويحصل الطبيب بالمقابل على ما بين 350 و 600 د في الحصة الواحدة.
- فتح 120 حطة إضافية في مناظرة الإقامة شرط الالتزام بقضاء فترة عمل في إحدى الجهات تتراوح بين 4 و 5 سنوات.
- تشجيع الأطباء على العمل في القطاع العمومي من خلال برنامج تشترك فيه كليات الطب والصيدلة والمؤسسات شبه الطبية
- وضع مشروع لإصلاح الدراسات الطبية وتطوير المهنة.

لا نعتقد البتة أن ما سبق ذكره من إجراءات يكفي لإيجاد حلول ناجعة لمعضلة هجرة خيرة كفاءاتنا الطبية، وخاصة الشابة منها، باعتبارها الضامنة لديمومة خدمة صحية متميزة في المستقبل. إن إيقاف التزيف يستدعي حتما استراتيجية شاملة تُناقش في إطار حوار وطني، ويشترك في وضعها مختلف المتدخلين من هيكل تكوين أكاديمي وأطباء وهيئات تمثل المهنة وترعى مصالحها ووزارات معنية ومجتمع مدني، خاصة وأن هذه الأطراف تلتقي كلها تقريبا حول تشخيص موحد للداء الذي بات ينخر قطاع الصحة في البلاد. ولا شك أن هذه القضية يجب أن يُدرج النظر فيها في إطار أشمل، ونعني هجرة الكفاءات العلمية عالية المستوى التي لئن تحققت فائدة للفرد من حيث تكوينه وتحسين وضعيته المادية فإنها تتسبب في خسارة فادحة لبلد مثل تونس، ما فتئ منذ الاستقلال ينفق الكثير من أجل تكوين موارد بشرية مقتدرة تساهم في تميته ونهضته العلمية والتكنولوجية.

ولا مرأ أن هذا الوضع لا تختص به تونس، بل هو قاسم مشترك بينها وبين العديد من البلدان، وخاصة النامية منها، التي تستقطب الدول المتقدمة صفوة علمائها، مما يجعلنا نقف اليوم أمام عالمين : عالم يهجره أبنائه وعالم يغريهم بالقدم.

الذين يسافرون للعمل يعقود مهمة في إطار التعاون الفني في دول الخليج العربي خاصة ويعود غالبيتهم إلى تونس (حوالي 95 %). وبخصوص الأطباء العاطلين عن العمل أو المباشرين في القطاع الخاص الذين يهاجرون ذكرت المديرية العامة للصحة أنه ليس لدى الوزارة معطيات دقيقة بشأن بقائهم في تونس أو مغادرتها للعمل بالخارج، ملاحظة أن هذا النوع من الهجرة يهيم عموما أطباء الاختصاص وبدرجة أقل بكثير أطباء الطب العام وعددهم ليس بكثير إذ أخفق 454 طبيبا عاما و 110 أطباء مختصين في مناظرة انتداب الأطباء لسنة 2017.

وعما إذا كانت الوزارة تنوي إعادة النظر في تربصات الأطباء الشبان بالخارج، أكدت الدكتورة نبيهة البورصالي فلقول أن مشاركتهم في هذه التربصات هامة ومفيدة لأنها تكسبهم كفاءات جديدة وتثري تجاربهم، قائلة: «وإذ يؤسفنا قرار الذين يفضلون البقاء في الخارج منهم فإن قطاع الصحة سيستفيد ممن يعودون ومن خبراتهم الجديدة المكتسبة».

وعن سؤال يتعلّق بخطة وزارة الصحة لوقف هجرة الكفاءات الطبية وتشجيعها على البقاء في تونس، أجابت الدكتورة نبيهة البورصالي فلقول إن الوزارة اتخذت حزمة من الإجراءات في هذا الشأن تطبق على المدى القصير وعلى المدى الطويل نذكر منها :

- الزيادة في عدد خطط الانتداب المتاحة بالنسبة إلى المساعدين والمبرزين في الطب وانتداب أطباء اختصاص في المراكز الاستشفائية الجامعية.
- تنظيم ظروف العمل وتحسينها في المستشفيات العمومية وتعصير التجهيزات الطبية.
- تمكين الطبيب في القطاع العام من المشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمؤسسة التي يعمل فيها.
- السماح للأطباء العاملين في المستشفيات العمومية في الجهات ذات الأولوية بممارسة النشاط الطبي للمصلحة الخاصة بعد الظهور مرتين في الأسبوع.

د. نبيهة البورصالي
المديرة العامة للصحة
وزارة الصحة



بقي في الأخير استكشاف وجهة نظر سلطة الإشراف بشأن هجرة الأطباء لنعرف بالخصوص عما إذا كان لديها خطة دقيقة واستشرافية للحد من تداعيات هذه الظاهرة السلبية على المنظومة الصحية وكذلك على مستقبل المهنة الطبية في تونس.

اعتبرت الدكتورة نبيهة البورصالي فلقول المديرية العامة للصحة بوزارة الصحة أن هجرة الأطباء التونسيين للعمل في الخارج ممارسة قديمة ومتعارف عليها، وهم ثلاثة أصناف. يمثل الصنف الأول الذين أخفقوا في امتحان الإقامة في الطب. ونظرا إلى رغبتهم في إكمال تكوينهم يسافرون إلى ألمانيا أوالسينغال ويسجلون في الاختصاص الذي يرغبون فيه دون اجتياز امتحان.

ومن هؤلاء يستقرّ حوالي الربع في الخارج ويعود البقية إلى تونس بعد الحصول على الاختصاص. أما الصنف الثاني فيعني الأطباء الذين يتابعون تكوينهم في الاختصاص. وبإمكان هؤلاء قضاء السنة الأخيرة من التكوين في تربص في الخارج، وترسلهم الوزارة حسب اختصاصهم بنسبة النصف عن كل اختصاص وقد شارك في السنة الماضية 153 طبيبا في التربص من مجموع 600 يتابعون الاختصاص، وهؤلاء منهم من يعود بعد التربص لكن منهم من يبقى في الخارج وهم يمثلون نسبة 15 % من جميع الاختصاصات، و50 % ممن لا يعودون هم أساسا من المختصين في التخدير والإنعاش وفي التصوير الطبي، وتستقطبهم خاصة فرنسا وبلجيكا وسويسرا.

ثم يأتي الصنف الثالث الذي يهيم أطباء الاختصاص والاستشفائيين الجامعيين المباشرين في القطاع العمومي

NOUVEAU

OUVERTURE DE LA NOUVELLE AGENCE BT MORNAG



35, Avenue Farhat Hached - 2090 Mornag - Ben Arous
Tél : 70 025 130 - 70 025 330 / Fax : 70 025 530 / e-mail : ag_mornag@bt.com.tn

Nous réaliserons vos vœux

www.bt.com.tn



Centre de Relation Client Banque de Tunisie
Email : callcenter@bt.com.tn
Tél. : 81 10 12 12

البنك
التونسي
BANQUE DE TUNISIE

الحريات الفردية: هل هي نهاية الإقصاء؟

• بقلم د. احويد النيفر
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

الأمر الذي عاد وأكّده سفير الاتحاد الأوروبي في تونس السيد «برغاميني» لاحقاً في 8 مارس 2017؟

5- عند استجلاء طبيعة عمل اللجنة الرئاسية وجوهر اهتماماتها فيما ستقدمه من توصيات ومقترحات ركّز الأستاذ صلاح الدين الجورشي، عضو اللجنة الثالث الذي حاورناه على جوانب أخرى حريّة بالاهتمام. كان من أهمّها عنصران أولهما يتعلّق بالحريات الفردية التي لم يقع دعمها بصورة شاملة وكافية في منظومتنا القانونية في ضوء ما عرفته بلادنا من تحولات نوعية شهدتها العقود الأخيرة وخاصة ما تأكّد بعد الثورة. لقد ظلّ الاهتمام بالفرد وحقوقه وحريته رهين مصلحة المجموعة واستقرار الدولة. ما يقتضيه الوعي السياسي الاجتماعي المتجدّد اليوم هو دعم جهود المجتمع المدني بالخروج بحقوق ثابتة ومصانة للفرد من المنطقة الحرجة لإكسابه قيمة قانونية مميّزة. تتولّد عن الرهان على الحريات الفردية قضية ثانية متّصلة بحرية الضمير المنصوص عليها دستورياً.

إجابة الأستاذ الجورشي عن توجّس جانب من التونسيين ممّا يمكن أن تؤدّي إليه حرية الضمير في السياق الانتقالي الحالي هامة. ما يعتري الشأن العام من مخاطر وما يمكن أن تؤدّي إليه حرية الضمير من تحلّل في مستويي التدين والتخلق تعتبر، في رأيه، تحدياً إيجابياً يمكّن المجتمع من التوصل إلى معالجات ومؤسسات اجتهادية وإبداعية يفتقدها الآن الشأن الديني بصورة فاجعة. معنى هذا أنّ أفضل ما توفّره الحريات الفردية، بما فيها حرية الضمير، يتيح مغادرة أسوء ما حصل في القديم بخصوص المسألة الدينية في تونس لأنّ التدين المتمدّن لا ينمو ولا يرتقي إلا في إطار الحرية والتعدد والقانون.

6- استكمالاً لهذه الجولة تبدو مبادرة الأستادتين «بشري بالحاج حميده» و«إقبال الغربي» بعيدة الدلالة. لقد أقامت يوماً دراسياً (9-12-2017) في قصر الضيافة بقرطاج جمع اللجنة الرئاسية بثلة من أساتذة جامعة الزيتونة للحوار في شأن الحريات الفردية والمساواة خاصة ما تعلّق بنظام الإرث. تتعيّن أهمية ما أفضت إليه هذه المبادرة في التخلص من جزء من المخاوف والظنون المتبادلة بين التيار التحديثي والمؤسسة

العام، يهتمّ باقتراح جملة من النصوص القانونية والتنقيحات الجديدة بعد جرد ما يتوفّر حالياً من قوانين ومناشير وأوامر صارت غير ملائمة للدستور الجديد وللمقتضيات التطور. المطلوب، حسب الأستاذة الحمروني، حرية أكبر ومساواة تامّة بالنسبة إلى الحريات الفردية باعتبار أنّ المرجعية تقتصر على عنصرى دستور 2014 والاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها تونس في مجال المساواة والحريات. مؤدّى هذا أكّدته الأستاذة بوضوح في أكثر من مناسبة وخاصة في نصّ لها منشور في أوت 2017 بمناسبة العيد الوطني للمرأة تحت عنوان: «لا، لا أحتفل بعيد المرأة» (Non, je ne fête pas le 13 août). تبيّن قراءة النص أنّ الكاتبة لا ترى مسوغاً للاحتفال بهذا العيد لكون قضية المساواة بين الرجل والمرأة ما تزال تراوح مكانها لم تتقدّم بصورة حقيقية صوب الوجهة الحاسمة. ذلك أنّها لا تجد فيما نصّت عليه مجلة الأحوال الشخصية ما يفي بالمكانة التي تستحقّها المرأة إنسانياً لما حافظت عليه المجلة من اعتبارات تراها استتباعاً مهيناً للمرأة (المهر والنفقة وما شابههما).

4- اللافت في موقف الأستاذة اعترافها بما حقّقته المجلة من مكاسب كمنع تعدّد الزوجات وجعل الطلاق إجراءً مدنياً تحت رقابة الدولة مع الإصرار على أنّ خيبة أملها عريضة لتوقف مسيرة مكاسب المساواة والحرية. يحصل هذا رغم معرفتها بأنّ نساء أخريات في مجتمعات مجاورة مازلن يعانين من القهر واللامساواة وأنّ «الصديقات الأوروبيات» مازلن هنّ أيضاً يناضلن من أجل المساواة في الأجر عند القيام بنفس العمل، كلّ هذا لم يثبّن عزيمته الأستاذة برفض الاحتفال بعيد المرأة التونسية.

السؤال الذي ينبغي معالجته هو: لماذا تتجاهل الأستاذة دلالات التغييرات الكبرى وأثار السياق السياسي الوطني والإقليمي والدولي على قضية الحريات والمساواة؟ وكيف تتاح المطالبة بمواصلة توسيع المكاسب التحريرية ضمن برنامج حدائقي تفرضه الدولة رغم كل ما اعتري هذه الأخيرة من تحولات جليّة؟ ثم كيف نفهم موقفها الجذري في ضوء ما صدر عن البرلمان الأوروبي في 14 سبتمبر 2016 من قرار خاصّ بتونس وما تتطلبه أوضاعها من «إصلاحات سياسية ومؤسّساتية» ينبغي أن تشمل مجلة الأحوال الشخصية في خصوص نظام الإرث وزواج التونسية بغير المسلم

1- تتوالى الأخبار والتصريحات مفيدة أن أعمال لجنة الحريات الفردية والمساواة التي أعلن عن تكوينها في 13 أوت 2017 تسير حيثية وأنها توشك أن تتوصل إلى صياغة المقترحات التي ستقدّم إلى رئيس الجمهورية. ما يفهم من عموم هذه الأعمال أنّ اللجنة في اجتماعاتها الخاصّة والموسّعة تبنت «استراتيجية تفاعلية» جمعتها بأطراف مختلفة وكفاءات متنوّعة تشمل أكاديميين وباحثين وسياسيين وفاعلين مدنيين فضلاً عن الحقوقيين. الهدف من هذا التوجه التفاعلي هو «الاستئناس» بأراء الجميع في موضوع مهمّ لا بد أن يشمل الجميع دون إقصاء».

2- هذا ما أعلن عنه الأستاذ عبد المجيد الشرفي، عضو اللجنة ورئيس المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة»، في تصريح أخير أوضح فيه أنّ التوجه الذي تنحو اللجنة للاحتكام إليه في صياغة المقترحات المتعلقة بالحريات الفردية والمساواة سيسمح للمرأة بأن تتمتع «بنظام آخر غير نظام المساواة إذا ما رغبت في ذلك كما يتيح لها الانتفاع بنظام المساواة الذي يضمنه لها القانون المدني الوضعي». في سياق متّصل حرص الأستاذ الشرفي على أن يوضّح أنّ المساواة «حقّ من الحقوق وليست مفروضة لا بالقانون ولا بأيّ إطار آخر». دلالة هذه العبارات من الجامعي المعروف لافتة لا يخطئها كل من اهتمّ بمسار الحياة السياسية التونسية وما اخترقها من خطاب استقواء وإقصاء إيديولوجي ساد المجالات الفكرية والأكاديمية والثقافية والقانونية طوال عقود في تونس المعاصرة. لا شك أنّ في النبرة الموزونة لرئيس بيت الحكمة صدى لما جاء في الخطاب الرئاسي الذي ألقى بمناسبة العيد الوطني للمرأة في 13 أوت الماضي من روح حدائية مقيّرة للعدالة والمساواة تريد أن تتأى بنفسها عن مشاعر الاستعلاء والعداء للتدين وعن مصادمة للاعتقادات والمواقف المحافظة لدى قطاعات واسعة من عموم الشعب. ما صرّح به الأستاذ الشرفي يستحضر بشكل أكيد ما شدّد عليه رئيس الجمهورية من أنّ تونس، وفق دستورها الجديد، دولة مدنيّة لشعب مسلم وأنّ العقل القانوني التونسي سيجد الصيغ الملائمة التي لا تتعارض مع الدين والقانون.

3- في خطّ مغاير لنبرة الشرفي الموزونة وللتوجه الرئاسي الإلّاقيّ يتنزّل تصريح عنصر ثان من أعضاء اللجنة هي الجامعية سلوى الحمروني. عمل اللجنة، وفق رؤية الأستاذة المختصة في القانون



• بقلم د. احويد النيفر
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

الزيتونية خاصّة. أيّا كان تقييم ما انتهى إليه هذا اليوم فقد أتاح التعبير عن فكرة كبرى مغيّبة فيها دحض لمقولة عداء مفتعل بين الإسلام والحدائثة. ظهر هذا بفضل الابتعاد عن سياسات التوظيف القديم والافتناع بضرورة الخروج من المواقع الهامشية التي كثيرا ما انساق إليها الزيتونيون إرادياً بما لم يسمح لمن يخالفهم الرأي أن يكتشف جانباً من معقوليتهم ومشروعيتهم.

بناء على جملة هذه المعطيات، هل سيكون اختلاف مقاربات أعضاء اللجنة الرئاسية مؤدياً إلى رجوع منطق الاستقواء بالدولة أم أنّه سيعلن عن ديناميكيات حوار تكون إيذاناً بنهاية الإقصاء؟ وهل ستتواصل الوصاية على قوى المجتمع باسم التقدم والعالمية أم ستجرأ مقاربات جديدة تؤدّي إلى إقرار التعددية القانونية في تونس بشكل رسمي؟

7- في انتظار نتيجة أعمال اللجنة الرئاسية للحريات الفردية والمساواة من المفيد استحضار ما كتبه المفكر «آرثر كوستلر» «Arthur Koestler» (1905 - 1983) في خصوص هذا الموضوع. نقرأ في كتابه الصادر سنة 1947 Le Yogi et le commissaire، يمكن أن يُعزّب بن: الصوفي (اليوغي) والمفوض (وفق استعمال التجربة السوفياتية) أو السياسي الثوري أنّه إذا كان هدف السياسي- الثوري تغيير الاستغلال بقرارات وتشريعات، فإنّ الصوفي يريد الوصول إلى نفس الأهداف عن طريق التربية وتكوين الفرد روحياً. يعقّب «كوستلر» على ذلك بما يواجه الصوفي والثوري من فشل نتيجة وقوعهما في كلّ مرة في إخضاع الغاية للوسائل واستبعاد جانب التشريعات على حساب التربية أو العكس. مردّ فشل كلا الرمزين إلى ما يسميه «كوستلر» «انتقام العضو المبتور». ذلك أنّ النظرة التبسيطية التي تُقضي جانباً من الكيان الإنساني-الثقافي- الاجتماعي على حساب جانب آخر إنّما تُلغي عنصراً من كامل المنظومة بما يوقع في تشويهاها وإفشال مشروعها. ذلك هو المقصود من انتقام العضو المبتور الذي يتساوى فيه الصوفي والثوري رغم أنّهما على طرفي نقيض. ان.

من الزيجات كمعدل) مقابل 439 في صنف الرجال سنويا فقط (0.4 بالمائة من الزيجات كمعدل) سنهم دون العشرين أيضا في الفترة نفسها وهذا يؤكد استمرارية ظاهرة قديمة حيث نلاحظ أن النساء يتزوجن مبكرا قبل الرجال بفارق عمري لا يقل عن خمس سنوات كمعدل. وتدل الإحصائيات المتعلقة بالفترة المشارة إليها أن ذروة الزواج عند النساء بلغت 34.6 بالمائة كمعدل بالنسبة إلى الفئة العمرية 25 / 29 سنة في حين بلغت نسبة الزواج عند الرجال ذروتها 33.3 بالمائة كمعدل بالنسبة إلى الفئة العمرية 30 / 34 سنة.

ثانيا: بلغ عدد النساء اللواتي لم يتجاوز عمرهن العشرين سنة واللواتي تزوجن في سنة 2011 ما يقارب 6504 ليقفز إلى 7702 في 2012 و 7592 في 2013 لينخفض بعد ذلك إلى 6873. أما عدد الرجال الذين لم يبلغوا سن العشرين والذين تزوجوا في نفس الفترة فإنه تطوّر من 228 في سنة 2011 إلى 672 في 2013 و 694 في 2014 لينخفض إلى 272 في 2015. ومعنى ذلك أن التطورات السياسية والعقائدية التي حصلت في تونس بعد 14 جانفي 2011 لم تفض إلى قلب المعطيات الديمغرافية المتعلقة بالزواج وسنّه ولو أنها شجعت لحد ما على الزواج المبكر بالنسبة إلى الرجال في فترة قصيرة نسبيا حسب ما يظهر والدليل على ذلك أن سير الأمور رجعت إلى ما كان عليه في السابق طبق ما أشرنا إليه.

ثالثا: إذا اعتبرنا الفئات العمرية الواقعة بين 50 سنة فما فوق نلاحظ أن نسبة الزيجات في الفترة 2011 / 2015 بلغت 5.5 بالمائة عند الرجال و 1.6 بالمائة فقط عند النساء ممّا يدل على صعوبة الزواج بعد سن الخمسين عندهن مقارنة بالرجال، وهذه أيضا خاصية اجتماعية وديمغرافية لم تتغير بفاعل ما إبان الفترة المذكورة.

لقد أكدت عدّة مرّات أن منحى أغلب المعطيات الديمغرافية لا يتغير أساسا إلا في الأمد الطويل (عشر سنين فما فوق) وأن بعض التغيرات التي تحصل في الأمد القصير والمتوسط تكون إما عارضة لا تبشر بتغير انحائي كزيادة الزيجات عند الرجال الذين سنهم لم تتجاوز عشرين سنة في الفترة 2012 / 2014 وإما بنوية ناتجة عن تركيبة الهرم السكاني أو تأخر أو تقدّم في روزنامة الخصوبة كزيادة الولادات بين 2011 و 2014 مثلا. وبالتالي فإنه يجب الوقوف أمام المعطيات الديمغرافية التي تهتم الأمد القصير والمتوسط وقفة المتأمل الحذر الذي يرفض استخلاص أي نتيجة منها في انتظار ما تفضي إليه هذه المعطيات في الأمد الطويل. **1.**

ح.ت.



متوسط عدد الزيجات بين 2011 و 2015 ما يقارب 105212 زيجة سنويا، وبلغ هذا العدد أقصاه في سنة 2014 (108845) ليتقهقر نسبيا إلى 108456 في سنة 2015 و 98072 في سنة 2016. وعند المقارنة بتركيبة الفئات العمرية التي هي في سن الزواج حسب القانون يتضح أن نقص عدد الزيجات في 2016 بالنسبة إلى سنة 2014 ولمعدل الزيجات في الفترة 2011 / 2015 ظاهرة لا يمكن أن تُفسّر ديمغرافيا بالرجوع فقط إلى حجم الفئات العمرية لأن شرح الأسباب والمسببات في هذه الحالة يتطلّب تحليلا شاملا متعدّد الوجوه يدخل ضمن مشمولات علم الاجتماع. وفي كلّ الأحوال فإن العزوف عن الزواج ظاهرة شبه عامّة في العالم العربي بخلاف ما يقال وينشر هنا وهناك حول تونس وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية عديدة منها البطالة والظروف السكنية والمعيشية ومنها طول مدّة التعلّم ومنها أيضا تغير العقلية ولم تسلم من ذلك إن صح القول حتى البلدان التي تحكمها الشريعة كإيران والمملكة السعودية والكويت والإمارات.

على أن التدقيق في المعلومات المتوفرة لحد الساعة والمتعلّقة بتطوّر عدد الزيجات حسب الجنس والفئات العمرية في الفترة المذكورة يبرز الخصائص التالية :

أولا: بلغ عدد النساء اللواتي لم يبلغن سن العشرين واللواتي تزوجن في الفترة 2011 / 2015 ما يقارب 7288 سنويا (6.9 بالمائة

بلغ

قراءة إحصائية في ظاهرة الزيجات في تونس بين 2011 و 2015



• بقلم الحبيب التهامي

سألني زميل في الدّراسة والتّدريس يوما عن التّأثير المحتمل للثورة التونسية في تطوّر بعض المعطيات الديمغرافية كعدد الزيجات، فأجبت أنه يجب الانتظار سنوات عديدة حتى تتوفر لدينا المعلومات الكافية للبتّ في المسألة لأنّ علم الديمغرافيا يهتم أساسا بالتغيرات الطويلة المدى التي تبرز إمّا قطعة مع الماضي وإمّا ترسيخا لاتجاه وقع إثباته من قبل. ومع ذلك فإنه من المفيد أن نقف هنا عند بعض المعطيات الكميّة التي تخص تطوّر عدد الزيجات بين 2011 و 2015 دون أن نستنتج منها خلاصة نهائية وذات مغزى. **←**

Crédit Premier logement



Le Crédit Premier logement de QNB, la solution pour devenir propriétaire.

QNB met à la disposition des familles à revenus moyens le Crédit Premier logement, destiné à financer leur premier logement sans autofinancement.

Appelez le 36 00 40 00 ou visitez qnb.com.tn

يوميات مواطن عيَّاش مريض بالعُطْط!



• بقلم عادل الناهر

وإزاء ما أبديته من استغراب، شرح لي العيَّاش الأمر باقتضاب: «يا سيدي كنت عند بسيكيتر مشهور، أعطاني راحة بثلاثة شهور، وقال لي: «تفرهد وارتاح، وما تفكرش في الخدمة لا ليل لا صباح». فقلت له: «إيه، وكيف برولت الطبيب، ليمنحك هذا الكونجي العجيب؟»، فأجابني بلغة الغاضب: «ردّ بالك أش تقول يا صاحب، هذا طبيب أمورو قد قد، وكلمتو لا ترد، وإذا تحبّ التفاصيل قلت لو عندي ستراس، وما عايش نحبّ نشوف الناس، وزيد مع الستراس اكتتاب، كرهني حتى في الأحباب». فقلت: «أمن أجل هذا بصراحة، ضربك بتسعين يوم راحة؟»، فأجاب: «ليس هذا فقط، ماو زدت قلتو: عندي أفكار سوداء، نحبّ نقتل مديري والزملاء، وإيذا نزيد في الخدمة نهار، نولي نخمّم في الانتحار».

ولما قلت للعيَّاش: «هذا كذب وتحيل وزور»، ردّ عليّ: «أخي إنت تعرف خير م الدكتور؟ راهو اختصاصي كبير في الأمور النفسية، وزيد زيادة أخرى: توه إنت صاحبي وما عندكش ثقة في؟». فقلت ساخرا: «لا هكاكة ديما ماشي معاك بالنية، أما إذا عديتها ع الطبيب ما تعديها ش عليّ، فمسرحة أعمل روحك مهبول، وجيب رخصة من بسيكيتر على خاطر ما يعملوش عليه كونترول، مسرحة قديمة شوية، كلات قلب الإدارة والمؤسسات العمومية».

وعندما سمع منّي العيَّاش هذا الكلام، قام متبرّما وقال دون سلام: «اقعد فيها إنت واصحابك، أنا طبيبي قال لي: «ماتوترش أعصابك!»، وراك أنت مسؤول إن تعكّرت حالتني الصحية، واضطرتت إلى تمديد إجازتي المرضية».

ع.ل

اليوم على العيَّاش، فقيل لي في إدارته إنه ما جاش، إذ أرسل شهادة طبية، حصل بمقتضاها على إجازة مرضية، فقلت في نفسي: «لا بدّ أن أقوم بزيارته، لأطمئن على صحّته»، فهو في مثل هذه المناسبات صاحب واجب، يسأل عن كلّ صديق مريض أو تابع.

مررت

ولما طرقت باب بيته خرجت لي زوجة العيَّاش، والدّمع يبّل عينيها والأرماش، فخلت أنّ صاحبي مشى فيها، أو ضرب مرضة بوالديها، فسارعت إلى مدام العيَّاش بالسؤال: «طمأنيني بالله عن الأحوال، ولا تخفي عني الحقيقة ولو كانت موجعة شوية»، فأجابت ضاحكة: «صاحبك لا سو لا سوية، وأهوكة في القهوة كي عادتو، لامم بيه جماعتو»، فقلت: «لكن سامحني: لماذا إذن هذا البكاء، والعيَّاش ما بيه حتى بلاء؟»، فأرسلت من توهها ضحكة غريبة، أدخلت في الشك والريبة، ثمّ أجابت وهي تمسح عينيها، وتكفكف الدمع عن خديها: «ماني كنت في الكوجينة نقص في البصل، صاحبي يحبّ على مرمز: هاذيكة الحكاية الكل!».

تركت زوجة العيَّاش وضحكاتنا في أذني تتابعني، حتّى وصلت إلى حيث صاحبي، ودون سابق إنذار، أطلقت عليه النّار: «والله لا تحشمها ولا عندك ضمير، لا يزي هارب م الخدمة تزيد تركب لي بوصفير! وآخر لمخاير تضحك عليّ مرتك، وأنا كي البهلول مشى في بالي عزرائيل هرّك، وسيادتك مريض بالعطط، الراس ع المخدة والقرجومة تزعط، فرد عليّ بجواب نصفه هزل ونصفه جدّ: «والله يا صاحبي مريض بالمجّد»، فقلت له: «وماذا يفعل في المقهى مريض؟»، فأجابني بعد تكشير عريض: «دعك يا صديقي من الغباء! فالقهوة جزء من الدواء».



القوة المشتركة لمجموعة دول الساحل الإفريقي مفارقات ونقاط استفهام

أظن، وأرجو ألا يصدق ظني، أن مركز ثقل «الحراك الإرهابي» بعد اندحاره في العراق وسوريا بدأ ينتقل أو يُنقل من الشرق الأوسط إلى منطقة المغرب العربي وما جاورها، أي منطقة الساحل والصحراء الإفريقيين.

وهذا ما يمكن استخلاصه من تسارع التحركات الفرنسية خاصة بعد مجيء الرئيس الفرنسي الجديد إيمانويل ماكرون إلى الحكم في ماي 2017، من أجل التعجيل بإنشاء القوة المشتركة لمكافحة الإرهاب لمجموعة دول الساحل الإفريقي الخمس.

فبعد أسابيع قليلة من إمساكه بزمام الحكم، وبالتحديد يوم الأحد 02 جويلية 2017 شارك الرئيس الفرنسي في القمة التي عقدتها المجموعة المتألفة من مالي وموريتانيا والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد في العاصمة المالية باماكو، والتي أقرت إنشاء قوة إقليمية مشتركة تتألف من خمسة آلاف عنصر، (ستتم مضاعفة عددهم لاحقا)، وترمي إلى مكافحة المجموعات المتطرفة والإرهابية المنتشرة في المنطقة، وملاحقة عناصرها عبر الحدود.



• بقلم: محمد إبراهيم الحصابيري

والأسئلة التي تتبادر إلى الذهن هنا هي: هل المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة أغنى من الدول الأوروبية والولايات المتحدة حتى تكون مساهمتها في تمويل القوة أكبر المساهمات المعلن عنها؟ ثم ما هي المصالح العليا والأهداف الاستراتيجية التي تسعى الرياض وأبو ظبي إلى تحقيقها من هذا السخاء الحامهي؟ وأخيرا، ومن منطلق الدور الذي لعبه السعوديون والإماراتيون خلال السنوات الماضية في أكثر من دولة عربية، ألا يخشى أن يكون وراء الأكمة ما وراءها؟

المفارقة الثانية

لعله مما يدعو إلى الاستغراب أن فرنسا تبدو على عجلة من أمرها، فهي تريد أن تشرع القوة المشتركة في ممارسة مهامها في الأشهر القليلة القادمة وأن يتم استكمال تجهيز الجنود في مارس 2018... وهذا ما جعل الرئيس إيمانويل ماكرون يعمل خلال زيارته الأخيرة إلى عدد من بلدان الخليج على «شحن مهمتها» من أجل دعم مجموعة دول الساحل الخمس والقوة المشتركة التي قررت انشاءها... وربما ترجع هذه العجلة إلى رغبة فرنسا في التخفيف من أعباء وجودها المكلف في المنطقة المرشحة لأن تكون ملاذا للإرهابيين في ظل ما تتسم به الدولة وأجهزتها في بعض بلدانها من هشاشة وضعف، غير أن السؤال الخطير الذي ينبغي طرحه هو هل تتوقع باريس أن تتوتر الأوضاع في منطقة الساحل والصحراء قريبا نتيجة التطورات الناجمة عن القضاء على تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» ونتيجة استمرار الأزمة في ليبيا؟

المفارقة الثالثة

عندما تم، بمبادرة من موريتانيا وانطلاقا من عاصمتها نواكشوط، الإعلان عن ميلاد مجموعة دول الساحل الخمس في 16 فيفري 2014، حرصت الدول الأعضاء على التأكيد على أن هذه المجموعة ←

ورغم أن فرنسا الدولة المُستعمرة السابقة للدول الخمس ستكون المستفيدة الأولى من إنشاء القوة المشتركة التي يُنتظر أن تخفف عنها عبء التدخل العسكري المباشر في المنطقة على غرار ما قامت به في مالي، فإن مساهمتها في الموارد اللازمة لإنشائها تعتبر ضئيلة.

وبالفعل فإن الرئيس إيمانويل ماكرون وعد في كلمته أمام القمة المنعقدة باماكو، بتقديم مساعدة مالية وعسكرية للقوة تفوق قيمتها ثمانية ملايين يورو حتى نهاية سنة 2017 وتمثل في تزويد القوة بـ 70 عربة ودعمها عمليا. وكانت فرنسا أعلنت قبل ذلك في 08 أكتوبر 2016 أنها تعتزم إنفاق 42 مليون يورو (منها 24 مليون للمعدات) بين عامي 2017 و2022 لتدريب قوات دول الساحل الإفريقي الخمس والسينغال على مكافحة الإرهاب وصد هجماته المحتملة عليها. ويرى الملاحظون أن هذه التعهدات الفرنسية لا تتماشى مع ما أعلنه إيمانويل ماكرون، منذ الوهلة الأولى، من عزم على مواصلة الحرب التي كان سلفه فرنسوا هولاند بدأها سنة 2013 على تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بعد سيطرته على شمال مالي سنة 2012. ومعلوم أن هذه الحرب مكنت، بالاعتماد على عملية أطلق عليها اسم «سرفال»، من طرد مقاتلي التنظيم، وبعض الجماعات المرتبطة به، من شمال مالي، غير أنهم تجمّعوا في بعض المناطق النائية وأصبحوا يشنون هجمات سريعة وخاطفة على القوات المالية والفرنسية والأممية، وهو ما دفع فرنسا، بالتعاون مع الجيوش المحلية، إلى شنّ عملية «برخان» التي عيّت لها ثلاثة آلاف جندي فرنسي انطلاقا من أوت 2014.

وتنطبق نفس الملاحظة على بقية دول الاتحاد الأوروبي، فهي لم تساهم في تمويل القوة إلا بمبالغ محدودة، رغم أنها تدرك أنها ستكون بمثابة سد يساهم في وقاية القارة الأوروبية ودولها من تهديدات المجموعات الإرهابية، ومن موجات الهجرة السرية...

البداية، ستنتشر هذه القوة التي سيكون مركز قيادتها في «سيفاري» بوسط مالي على الحدود بين مالي وبوركينا فاسو والنيجر لتتضمّن في وقت لاحق إلى قوة «برخان» الفرنسية، وبعثة الأمم المتحدة في مالي (مينوسما). ولأنّ تكلفة إنشاء هذه القوة التي أطلق عليها اسم «التحالف من أجل الساحل»، والتي تريد فرنسا أن تشرع في ممارسة مهامها في أقرب وقت ممكن تقدر بـ 423 مليون يورو، فقد بادرت فرنسا في 13 ديسمبر 2017 إلى احتضان قمة في منطقة «سيل سان كلو» الواقعة غرب العاصمة باريس، حضرها إلى جانب الرئيس الفرنسي ورؤساء دول المجموعة الخمس كل من المستشار الألمانية أنجيلا ميركل ورئيسي وزراء إيطاليا وبلجيكا وممثلون عن الاتحاد الأوروبي، والاتحاد الإفريقي والولايات المتحدة الأمريكية ووزراء من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة. وتنطوي هذه القمة والقرارات التي خرجت بها على جملة من المفارقات التي تثير نقاط استفهام عديدة فيما يلي أبرزها:

المفارقة الأولى

يتضح من خلال قرارات القمة أن المملكة العربية السعودية هي الداعم الرئيسي للمجموعة حيث خصّصت لها 100 مليون يورو، بينما خصّصت لها دولة الإمارات العربية المتحدة 30 مليون يورو، أما الاتحاد الأوروبي فخصّص لها 50 مليونا وفرنسا 8 ملايين وهولندا 5 ملايين. وقررت الولايات المتحدة الأمريكية منحها 50 مليون يورو لكن في شكل اعتمادات ثنائية، بينما ستشارك كل من دول المجموعة بـ 10 ملايين يورو في تمويل القوة. ولأنّ هذه المبالغ لا تفي بالحاجة، قرّرت فرنسا تنظيم جولة ثانية موسّعة للدعم المالي يوم 23 فيفري 2018 في بروكسل.





Votre Protection...c'est notre métier !



Des solutions adaptées, quels que soient vos projets

WWW.SALIM-INS.COM



وقد أصرت الجزائر على نفس الموقف عند انعقاد قمة «سيل سان كلو» في 13 ديسمبر 2017 أي أسبوعا واحدا بعد الزيارة التي قام بها إليها الرئيس إيمانويل ماكرون في السادس من نفس الشهر. ويرجع الرّفض الجزائري إلى عدّة أسباب، أولها أنّ دستور الجزائر لا يسمح بمشاركة قوات الجيش الجزائري في عمليات عسكرية ميدانية خارج الحدود، وقد أكد الوزير الأول أحمد اويحيى، خلال زيارته الأخيرة إلى باريس، أنّ الجزائر تبذل جهودا «معتبرة» لتأمين منطقة الساحل، لكنّه استبعد إمكانية انضمامها للقوة المشتركة لمجموعة دول الساحل الخمس.

وهكذا يكون الخلاف بين الجزائر وبين دول المجموعة وفرنسا راجعا إلى اختلاف عميق وجذري في النظرة إلى أسلوب معالجة الأوضاع في المنطقة، ففي حين كانت الجزائر تريد أن توحد جهود دول المنطقة في إطار «حلف أفريقي» يحلّ مشاكله الأمنية بمفرده مع استبعاد أيّ تدخل أجنبي في شؤونه، وفي حين كانت تعزز، لإنجاح هذه المبادرة التي سمّيت بمبادرة دول الميدان، تعبئة 50 ألف جندي مع إمكانية تزويدهم بالأسلحة اللازمة، وتدريبهم وتوفير ما يحتاجونه من معلومات استخباراتية، قامت دول المجموعة الخمس في فيفري 2016 بالإعلان، في غيابها، عن تشكيل القوة المشتركة لمكافحة الإرهاب في الساحل الأفريقي، برعاية ودعم من الاتحاد الأوروبي، وبالتحديد من فرنسا.

وفي هذا الإطار قال الرئيس التشادي، إدريس ديبي، إنّ الدول الأعضاء في المجموعة تقع على «خطّ المواجهة ضدّ الخطر الإرهابي»،

وأنها ستسعى للحصول على تمويل لقوتها المشتركة من الاتحاد الأوروبي، لأنها ستوفر على أوروبا الزج بجنودها في عمليات داخل إفريقيا في وقت «يتنامى فيه خطر الإرهاب». وفي انتظار القمة التي ستعقد في بروكسيل في مطلع شهر فيفري 2018، ستحاول فرنسا وألمانيا، ومعهما الولايات المتحدة ودول أخرى معنية، إقناع الجزائر بالمشاركة في هذا الجهد الإقليمي الدولي لمكافحة الإرهاب، خصوصا أنّها عانت وتعاني من هذا الخطر وتملك خبرة يفترض أن تساعد دول الساحل على تجنّب الوقوع فيما وقع فيه العراق وسوريا. بيد أنّ السؤال الذي يبقى قائما هو هل ستفعل هذه الدول في إقناع الجزائر بالتخلي عن قناعتها الراسخة بأنّ مشاركتها تظلّ مستحيلة ←

← الإقليمية ستُعنى بأمرين أساسيين أولهما العمل على إخراج المنطقة من كابوس الفقر والجهل والجوع، من خلال تنفيذ برنامج استثماري طموح تقدّر قيمته بـ15 مليار دولار، ويمتدّ من عام 2015 إلى عام 2017، ويهدف إلى ترقية التنمية وتعزيز الاستقرار، وإرساء فضاء ساحلي صحراوي آمن يضمن لشعبه تحقيق الازدهار والعيش الكريم، وثانيهما التنسيق الأمني ومواجهة مخاطر الإرهاب والجريمة العابرة للحدود، وتهريب السلاح والمخدرات في هذه المنطقة مترامية الأطراف التي تتجاوز مساحتها خمسة ملايين كلم مربع... غير أنّ أهداف هذا البرنامج الذي أطلق عليه اسم «مسار نواكشوط» ظلت حبيسة أدراج اللجنة الدائمة للمجموعة التي لم تنجح في إقناع شركائها وبالذات الأوروبيين منهم بتبنيّه وبالمساهمة في تمويله وتجسيمة على أرض الواقع.

وأوضح أحمد أويحيى أنّ مساهمة الجزائر في تأمين الساحل «تتمّ في إطار العلاقات الثنائية مع البلدان المعنية»، وأنّ «التنسيق العسكري والأمني بين الجزائر وبلدان الجوار» قائم منذ عقد من الزمن. أمّا السبب الثاني فهو يتعلّق بما تعتبره الجزائر تنكرا لجهودها في مكافحة الإرهاب والتهريب، حيث تؤكد أنّها أنفقت خلال السنوات الثماني الماضية، 100 مليون دولار، لتدريب 12 قوة خاصة من موريتانيا حتى تشاد، كما قامت بمنح هذه الدول عتادا عسكريا.

غير أنّ مجموعة دول الساحل الخمس لم تتشاور معها ولم توجه لها الدعوة للانضمام إليها عندما عقدت قمّتها التأسيسية في نواكشوط. وتجدد الملاحظة أنّ الجزائر احتضنت في مارس 2010 قمة قرّرت إنشاء لجنة سمّيت «لجنة قيادة الأركان العملياتية لمكافحة الإرهاب ومواجهة الجريمة العابرة للحدود»، وضمتها إلى جانب كل من مالي وموريتانيا والنيجر وتشاد وبوركينا فاسو، وقد اتخذت اللجنة من تمراست في جنوب الجزائر مقرا لها، كما ركّزت مركزا استخباراتيا في الجزائر العاصمة، وذلك بغرض التعاون الأمني بين الدول الأعضاء ومحاربة تنظيم «القاعدة» دون أيّ تدخل غربي.

← الحقيقية أنّ أوروبا، على عاداتها، ركّزت اهتمامها بشكل يكاد يكون حصريا على الشقّ الأمني من البرنامج، أي على مسألة تمويل القوة المشتركة، منطلقة في ذلك من مقولة ما فتى الأوروبيون يرددونها وهي مقولة «لا تنمية بدون أمن» ناسين أنّه أيضا «لا أمن بدون تنمية»، وهذا ما يشكّل مفارقة في مقاربة الدول الأوروبية لتعاونها مع شركائها الأفارقة تستوجب طرح السؤال التالي: متى ستفهم الدول الأوروبية أنّ الاهتمام بالأمن وإهمال التنمية لا يمكن أبدا أن يحلّا ما تعانيه الدول الإفريقية من مشاكل «عابرة للحدود»، إذ أنّ امتداداتها تصل إلى جوار أوروبا، وإلى أوروبا وما وراءها.

المفارقة الرابعة

رفضت الجزائر التي تعدّ أكبر قوة عسكرية في المنطقة، حضور قمة باماكو، وذلك بالرغم من محاولة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والرئيس المالي إبراهيم بوبكر كيتا إقناع الرئيس عبد العزيز بو تفليقة بحضورها كضيف شرف أو عضو ملاحظ، بل إن الرئيس الجزائري رفض حتى مشاركة سفير الجزائر في باماكو في جانب من أشغالها.

التي تتمركز في المنطقة للتصدي للإرهاب. وقد أصدر مجلس الأمن الدولي، يوم الجمعة 09 ديسمبر 2017 بالإجماع قراراً يجيز لقوات الأمم المتحدة المنتشرة في مالي، تقديم دعم لوجستي وعملياتي لقوة دول مجموعة الساحل لمكافحة المتطرفين.

وكان هذا القرار الذي قامت فرنسا بصياغة مشروعه موضع مفاوضات صعبة مع الولايات المتحدة.

ويشمل هذا الدعم الإجماع الطبي والإمداد بالوقود والمياه والحصص الغذائية، إضافة إلى الاستعانة بوحدة الهندسة في القوة الأمامية من أجل بناء معسكرات وقواعد عسكرية لمكافحة الإرهابيين.

ويطلب القرار من الأمين العام للأمم المتحدة أن يتوصل «في أسرع وقت» إلى «اتفاق تقني» بين منظمته وبين مجموعة دول الساحل الخمس حتى يتم تقديم الدعم اللوجستي والعملية المقرر عبر قوات الأمم المتحدة في مالي.

وحتى يتسنى تخطي موقف الولايات المتحدة المعترض، دعا القرار إلى إنشاء «آلية ينسّقها الاتحاد الأوروبي» ويسدّد عبرها للأمم المتحدة النفقات المخصصة للقوة الجديدة.

ويطرح الحرص على إضفاء طابع أممي على القوة المشتركة سؤالاً حول دوافع فرنسا ونواياها فيما يتعلق بالأدوار التي قد تدعى إلى الاضطلاع بها في المستقبل القريب والبعيد؟

إنّ جميع المفارقات التي تطرقنا إليها وجميع الأسئلة التي طرحناها في هذا المقال تشكل في نفس الوقت تنبيهاً لما يحدث، ودعوة إلى اتخاذ ما يجب من الاحتياطات لما يمكن أن يكون له من ارتدادات وامتدادات مستقبلية. م.أ.ح.

أهداف كل منها وتحركاته إزاء منطقة هي في الواقع امتداد جيو-سياسي له وفي نفس الوقت مصدر مخاطر استراتيجية مشتركة بسبب ما يعتمل فيها من إرهاب متنقل وجريمة منظمة وتهريب سلاح عبر حدود سمّتها الهشاشة؟

المفارقة السادسة

في ختام القمة التأسيسية في نواكشوط، دعا رؤساء تشاد ومالي والنيجر وموريتانيا وبوركينا فاسو الأمم المتحدة إلى تشكيل قوة دولية للتدخل عسكرياً والقضاء على المسلّحين في ليبيا.

وفي هذا السياق أعلن الرئيس الموريتاني، محمد ولد عبد العزيز أنّ دول المجموعة طلبت رسمياً من مجلس الأمن والاتحاد الأفريقي تشكيل قوة دولية للتدخل العسكري السريع في ليبيا. وأضاف قائلاً «الأمر يعود إلى الشعب الليبي فهو من يحدّد طريقة الخروج من الأزمة وأعتقد أنّهم باتوا مقتنعين الآن بأهمية التدخل الدولي لحماية المؤسسات وإيجاد قوة على الأرض لحماية خيار الشعب الليبي».

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماذا يمكن أن نتظر من مجموعة إقليمية كانت هذه الدعوة إلى التدخل في ليبيا باكورة أعمالها؟ المفارقة السابعة:

سعت فرنسا إلى إدراج أعمال «القوة المشتركة» تحت الغطاء الأممي باستخدام المادة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة. لكنّ الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن ترغب في ذلك حيث أنّها تريد تقليص نفقات الأمم المتحدة وتعتزم الحدّ من مساهمتها في ميزانيتها.

غير أنّ الدولتين تشتركان في نفس الرغبة فيما يتعلق بالبحث عن كيفية جعل هذه القوة قادرة على تعويض مهمّة القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة والقوات الفرنسية

← في ظل «مشاركة فرنسا العسكرية المباشرة ووجود مستشارين عسكريين أمريكيين ضمن المبادرة»، خاصّة وأنها تعتقد أنّ «مشاركة الجيش الجزائري في عمليات يشارك فيها عسكريون من خارج المنطقة يعطي مبرراً للإرهابيين لمواصلة القتال بدعوى طرد القوات الأجنبية الكافرة»؟

المفارقة الخامسة

في مقابل ما تقدّم تنظر الرباط بعين الرضا إلى قيام هذه المجموعة وإلى القوة المشتركة التي ستنشئها وقد ظهر ذلك فيما أبداه وزير خارجيتها على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال سبتمبر 2017 من استعداد بلاده لدعم المجموعة في مجال تدريب القوات وأمن الحدود، فضلاً عن الخبرة المغربية في تدريب الأمم ومكافحة التطرف.

ومن الطبيعي أن يهتمّ المغرب بهذه المنطقة حيث يردّد مسؤولوه باستمرار أنّ الجنوب والجنوب الشرقي هما مصدران أساسيان للمخاوف، حيث تنتشر في الساحل الحدودي الهجرة غير الشرعية، والاتجار غير المشروع بالسلاح والبشر، كما أنّه يشكّل ملاذاً لـ«تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» ومجموعة متكاثرة من الجماعات المسلحة التي تستخدمه مسرحاً لعملياتها، ومجمل هذه التحديّات تلقي بثقلها على المغرب، خاصّة وأنّ مزيداً من المهاجرين غير الشرعيين يستقرون في البلاد، ويتفشّى الاتجار غير المشروع أكثر فأكثر في أوساط الشباب الصحراوي، وتواجه المدن الكبرى والمعالم السياحية خطر التعرّض إلى مزيد من الهجمات الإرهابية الإسلامية.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو ماذا سيكون لذلك من تأثير في تعميق الخلاف بين الجزائر والمغرب وفي مضاعفة التباينات التي تفصل بين بلدان المغرب العربي والتي تطبع

اشترك الآن

تصلكم مباشرة
المجلة بأوفر ثمن



د.ت.

25
فقط / سنويًا



النسخة الالكترونية



Leaders

اشترك
مزدوج
55
فقط / سنويًا

ليدرز

استمارة اشتراك

المشارك:
الهااتف: الفاكس:
المنوان: الترميم البريدي:
عدد الاشتراكات:
طريقة التسديد: صلة بنكي تحويل بنكي حوالة بريدية

تحويل باسم بيه ار فاتوريه

CCB DEVISES 08 008 00067 59 001093 3 03
CCB TND 08 008 00067 10 01274 0 71



Leaders Tunisie



استفتاء كردستان العراق وكاتالونيا

التداعيات الجديدة



• بقلم حنان زبيس

ثلاثة أشهر بعد إعلان استفتاءي كردستان العراق وكاتالونيا، تغيرت الأوضاع في الإقليمين داخليا بحيث أصبح ممكنا الحديث عن واقع ما قبل الاستفتاء وما بعده. وإن لم يتبين بعد أفق الحل للأزمات التي أسفر عنها الاستفتاءان، فإنهما أعطيا أملا لشعوب أخرى للنسج على منوالهما، مما قد يساهم مرور الوقت في تغيير خارطة الحالية للعالم. ←



محافظة نينوى وصلاح الدين وديالى
ليقتصر نفوذهم على مناطقهم التاريخية
قبل 2003.

سيطرة القوات العراقية على كركوك تسببت
في خسارة الأكراد، عدا الأرض، لحقول مهمة
من النفط كانت تؤمن نصف إيراداته النفطية.
هذه الخسارة العسكرية والإقتصادية كانت
لها بالطبع انعكاساتها على الوضع السياسي
في الإقليم حيث اضطرّ رئيس إقليم كردستان،
مسعود البارزاني، الذي كان يحلم بأن يدخل
التاريخ كمؤسس الدولة الكردية المستقلة،
إلى أن يستقيل من منصبه ويوزع صلاحياته
بين رئاسة الحكومة والبرلمان ومجلس القضاء
وذلك في 29 أكتوبر 2017.

تلت استقالة بارزاني استقالات في الحكومة
ومطالبة بالإطاحة بها وتكوين حكومة وطنية
وجاءت مؤخرا استقالة رئيس البرلمان لتعاقد
الأزمة السياسية الخانقة في الإقليم. وقد
فضحت هزيمة الأكراد في كركوك الانقسامات
الداخلية داخل الإقليم، حيث انحاز قسم
من الاتحاد الوطني الكردستاني بقيادة
هافال طالباني، أحد أبناء الراحل جلال
طالباني، إلى القوات العراقية وساعدهم
في بسط نفوذهم على المدينة ليخلق بذلك
شخا في الجبهة الكردية إلى حد أنه تمّ
اتهامه بالخيانة من قبل الحزب الديمقراطي
الكردستاني الحاكم.

من جهة أخرى، شهدت بعض الأحزاب
التاريخية الكردية انقسامات داخلها مثل
الاتحاد الوطني الكردستاني بعد أن انفصل



عنه نائب أمينه العام، برهم صالح، ليؤسس
حزبا جديدا باسم «التحالف من أجل
الديمقراطية والعدالة».

وأدت هذه الانقسامات الداخلية إلى تأجيل
الانتخابات التي كان من المزمع تنظيمها
في نوفمبر 2017 وتمديد عمل البرلمان لمدة
ثمانية أشهر.

بالتوازي مع تعقد الوضع السياسي، اندلعت
في منتصف شهر ديسمبر احتجاجات شعبية
في السليمانية حول تأخر صرف الرواتب التي
تمّ تخفيضها إلى النصف في وقت سابق.
الحكومة المرتبكة لم تجد حلا سوى مواجهة
المحتجين عبر إطلاق النار عليهم لتوقع عددا
من القتلى والجرحى فيزداد الاحتقان أكثر
والغضب من السلطة الحاكمة حاليا في
الإقليم واتهامها بالفساد والاستيلاء على
أموال النفط، مما تسبب في تراكم الديون
لتبلغ حوالي 20 بليون دولار.

ويزيد الطين بلة، إعلان حزب العمّال
الكردستاني-المتركز في جبال قنديل بإقليم
كردستان العراق- هذه المنطقة إقليما ذاتيا
يحمل اسم «إقليم قنديل» وذلك عبر نشره
يوم 24 ديسمبر 2017 بيانا أعلن فيه عن
تأسيسه بحضور أكثر من 300 شخصية
سياسية من أعضائه.

في الأثناء، يزداد الضغط من قبل حكومة
بغداد التي لا تقبل إلى حد الآن باستئناف
التفاوض مع حكومة أربيل لحلّ المسائل
العالقة وأهمّها إرسال حصّة الإقليم من
الميزانية لتمكينه من دفع رواتب موظفيه.
ولم يكفّ تجميد نتائج الاستفتاء بل ظلّت
حكومة بغداد تطالب الأكراد بإلغائه كشرط
لاستئناف الحوار مع أربيل، بالإضافة إلى
تسليمها كلّ المعابر الحدودية. وتحاول
بغداد من خلال هذه الشروط الضغط
أكثر لتحسين شروط التفاوض والحصول
على مكاسب أكبر، خاصّة وأنّ الإقليم ←

Radio Med

une vague de bonheur

NABEUL
HAMMAMET
100.0 FM

CAP BON
GRAND TUNIS
104.1 FM

GRAND TUNIS
93.5 FM



Cité El Wafa Nabeul Jadida 8000 Nabeul-Tunisie



(+216) 72 32 85 00 FAX : (+216) 72 32 85 60



marketing@radiomedtunisie.com



www.radiomedtunisie.com



المركزية. أما مدريد فلا تبدو مستعدة للتخلي عن إقليم كاتالونيا ولا عن مساهمته الكبيرة في تمويل اقتصادها.

ماذا بعد؟

من الواضح أنه لا بديل عن استئناف الحوار بين الحكومة المركزية والحكومة الانفصالية، سواء في إقليم كردستان العراق أو في كاتالونيا أمام تعمق الأزمة السياسية والاقتصادية فيها وكذلك أمام الضغوطات الدولية لإيجاد حلول عاجلة.

وأما كانت التطورات التي ستحدث وما ستسفر عنه من حلول قد تكون موجهة، فإن هناك تغييرا جذريا حصل على مستوى وعي الشعوب لا يمكن تجاوزه وهو ما سيجعلها تحاول تحقيق حلم الانفصال من جديد متى تهيأت ظروف أفضل لذلك. كما أن المحاولتين السابقتين وإن فشلتا، خفرتنا أقبليات أخرى تطمح هي أيضا إلى تحقيق استقلالها الذاتي سواء في إيطاليا أو فرنسا أو في بلدان أخرى وهو ما سيجعل خارطة العالم تشهد تغييرات في السنوات القادمة. [1]

ح.ز.

طالب بوجديمون نظيره راخوي باللقاء خارج إسبانيا لإيجاد حل للأزمة ولكن الأخير رفض ذلك.

وفي خطاب رأس السنة وجه زعيم الانفصاليين نداء إلى مدريد لإعادة الحكومة الكاتالونية التي تم حلها وبذلك إعادته إلى منصبه على رأسها.

مدريد من ناحيتها أعلنت على لسان وزير الاقتصاد عن حجم الخسائر الاقتصادية التي كلفتها الأزمة مع الإقليم حيث وصلت إلى حدود مليار يورو، فقد أصبح إقليم كاتالونيا الذي كان يساهم بنسبة 19 بالمائة من الناتج الداخلي الخام لإسبانيا عبئا اقتصاديا عليها بسبب ضعف النمو الاقتصادي. وكانت أكثر من ألف شركة نقلت مركز نشاطها من الإقليم إلى خارجه نتيجة الأزمة السياسية. في هذه الظروف أصبح من الضروري بالنسبة للطرفين الجلوس على طاولة الحوار ولكن على أي أساس؟ فالإقليم لا يزال يطالب باستقلاله أو على الأقل وفي أحسن الحالات، يرغب في التمتع بكامل موارده على أن يعطي حصة بسيطة من الضرائب إلى الحكومة

← يبدو على وشك الانفجار سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

فوز الانفصاليين من جديد في كاتالونيا وتعمق الأزمة مع مدريد

في إقليم كاتالونيا، تتواصل الأزمة بين حكومة المركز وحكومة الإقليم رغم التطورات الأخيرة. فبعد رفض نتائج الاستفتاء من قبل مدريد وحلها الحكومة والبرلمان الكاتالونيين ومحكمة ممثلي الحركة الانفصالية مما دفع برئيس الانفصاليين، كارلوس بوجديمون إلى اللجوء إلى بلجيكا، انتظمت يوم 21 ديسمبر 2017 انتخابات تشريعية مبكرة في إقليم كاتالونيا لتسفر عن تحصيل الانفصاليين على الأغلبية في البرلمان.

هذا التقدم للانفصاليين وضع الحكومة الإسبانية أمام أزمة جديدة وضرورة استئناف الحوار مع كاتالونيا. وكان رئيس الوزراء الإسباني، ماريانو راخوي أعلن أن الجلسة الأولى للبرلمان الجديد لكاتالونيا ستعقد يوم 17 جانفي 2018 كما أكد أن الحكومة الإسبانية مستعدة لإجراء حوار مفتوح مع الحكومة التي ستتشكل في الاقليم. في الأثناء،



برج الضيافة بصفاقس لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة «النزل ذات الطابع المميّز» HÔTEL DE CHARME من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطوري مكثف. وتشترط الوزارة لمنح هذا الترتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبنية وإسداء خدمات مشخّصة تخضع لقواعد التصرف الفندقي المحدّدة وعدم تجاوز طاقة الإيواء 50 سريرا وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.

هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتحف بجمالية رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها، يحرص على إعدادها أمهر الطهاة، وتوفّر غرف برج الضيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنت.

السّر في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التفاصيل والتّفاني في خدمة الزائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف ISO 9001 و ISO 22000 وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بماوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويات الصفاقسية وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع،



فضلا عن الخدمات الراقية المسدات من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة نزل ذو طابع مميّز
طريق سكرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: +216 74 677 777
الفاكس: +216 74 676 777
sfax@hotelborjdhiafa.com

الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME





حظوظها في وتيرة التّواصل و التّحاور بين المسارح الإفريقية والعربية والعالمية، مقارنة بسنوات التّراجع السابقة لحدث 14 جانفي والثّورات العربية؟

أضفت وتيرة تنظيم الأيام إلى صعوباتها الطّرفية صعوبات مادّية، إذ تأثرت بنتائج التّقليص في ميزانية وزارة الشّؤون الثقافيّة الذي أذيع بالموازاة مع اللّمسات الأخيرة قبل انطلاق الدّورة.

وقد ساهم ذلك في تعميق الصّعوبات الهيكلية التي كانت تعاني منها منذ إحداثها، باعتبارها لا تتوفّر على قانون أساسي ولا على هيكل إداري قارّ ولا على مقرّ يحفظ ذاكرتها ويسمح بتنظيمها تنظيمًا يمكنه أن يثبت حوكمتها وتسييرها بشكل يتجاوز الاعتبارات الدّاتية والشّخصنة فيما يتعلّق بإدارتها. ←

السّوق وتسلطها على الإبداع المسرحي وهو فنّ حيّ لا يحتمل المفاهيم التّواضعية (LES CONCEPTS CONVENTIONNELS). وهي أيضا فترة تصادف تغوّل الأنظمة الدكتاتورية وتسلطها على الإبداع المسرحي بشكل خاصّ، اعتبارا لنزوع المسرح إلى الخروج عن السّائد والتزامه بحلم التّغيير وإثارة السّواكن الاجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة وبالتالي السّياسيّة.

وها هو المهرجان ينخرط في حركة مطلبيّة حدثت بعد 14 جانفي، تطالب بدورية سنوية للأيام تشمل أيضا أيام قرطاج السينمائيّة والموسقيّة، بعد أن كانت ثلاثتها تقام مرّة كلّ سنتين.

استجابت سلطة الإشراف لهذا المطلب و أصبحت الأيام تنتظم بدورية سنوية. فهل أثر ذلك في ترسيخ أهدافها وهل انعكس ودعم

المؤيّدون فيرون أنّ استرجاع فعاليّات المسابقة الرّسميّة للمهرجان تمثّل فرصة للمبدعين العرب والأفارقة للتّنافس واحتكاك بين التّجارب المسرحيّة المشاركة، كما أنّها ترسخ القيمة الاعتباريّة للمهرجان بوصفه مهرجانا مسرحيا رائدا بالنّسبة إلى المهرجانات القطاعيّة العربيّة والإفريقيّة، إضافة إلى الامتدادات التي أسّس لها في تعامله مع الكفاءات المسرحيّة العالميّة، على مستوى النّشاط الفكري والتّنظيري، كما على مستوى بعض التّجارب المخبريّة.

ولنّ تخصّ الأيام، في أهدافها الأساسيّة، المسرح العربي والإفريقي بالذّات، فإنّها آلت في برمجتها على استضافة عدد من التّجارب المسرحيّة من بلدان أوروبية وآسيوية وأمريكية وكذلك استقطاب رموز النّقد والتّفكير والتّنظير غير العربيّة والإفريقيّة، إثراء للأيام وتجسيدها للحوار بين دروب الإبداع المسرحيّ من مختلف بلدان العالم.

على أنّ هذه الخيارات شهدت شيئا من الارتباك في دورات عديدة في الفترة ما بين أواخر التسعينيات وحتى السّنوات الأخيرة قبل أحداث 14 جانفي 2011.

فقد بهت الإشعاع الذي كانت تحدّثه في السّابق وضعفت ركائز الجسر الذي بنته للتّواصل بين مختلف التّجارب المسرحيّة، لا فقط فيما يتعلّق بالتّجارب العالميّة التي كانت بمثابة القيمة المضافة للأيام، ولكن أيضا فيما يتعلّق بالمسرح الإفريقي الذي يمثّل إلى جانب المسرح العربي العمود الفقري للمهرجان ونسغه المغذّي.

ولعلّ من أسباب هذا التّداعي، أنّ الفترة المذكورة تصادف ارتباكًا في التّجارب المسرحيّة، لا في البلدان العربيّة والإفريقيّة فحسب، ولكن أيضا في بلدان العالم، نتيجة لامتدادات النّظام العالمي الجديد وانتشار مفاهيم ثقافة

أما



أيام قرطاج المسرحيّة عود على بدء



• بقلر فوزية بلحاج المرّي

في عيد ميلاد مهرجان أيّام قرطاج المسرحية الرّابع و الثلاثين و في دورته التاسعة عشرة (8 - 16 ديسمبر 2017) استبشر الكثير من رجال ونساء المسرح في تونس و في العالم العربي والبلدان الإفريقيّة عامّة بإعادة فتح المجال للتّسابق بين المشاركين في العروض المسرحيّة لهذه الدّورة، بعد أن ألغى محمّد إدريس المسابقة منذ أوائل التسعينيات، عندما كان يدير مؤسسة المسرح الوطني ومهرجان الأيام. و في المقابل، انقسمت ردود الفعل بين مؤيّد للبادرة ومعارض لها. يرى المعارضون أنّها تستوجب ظروفًا وإمكانات مادّية لانتقاء العروض المترشّحة وهي ظروف لا تزال غير متوفرة للمهرجان. ←



← وهي اليوم تعاني من الطابع الاستعجالي في تسييرها، إذ أن تعيين مدير كل دورة يقع قبل انعقادها بستة أشهر، في أحسن الأحوال. وهو أمد لا يسمح بإعداد برمجة تليق بطموحات الدورة كما لا يمكن منظميها من توفير الظروف الملائمة لانتقاء العروض المناسبة لقيمة الأيام الاعتبارية.

وهي معوقات تنسحب على مجمل فعاليات الأيام في أبعادها الاحتفالية والفكرية.

رغبة التحليق ووهن الأجنحة

لقد أبرزت الدورة التاسعة للمهرجان مظاهر هذه المعوقات وأكدت ضرورة تأملها ومحاولة معالجتها بصفة جادة لانتقال المهرجان من مخاطر التهميش الذي يساهم في إرباكه من سنة إلى أخرى والذي يوشك أن يحصره في دائرة التظاهرات القائمة على التقليد والتغني بأمجاد التأسيس.

اتّسمت هذه الدورة التاسعة عشرة ببرمجة متسرّعة. افتقد فيها شرط التميّز والإبداع في الأعمال المبرجة، سواء منها الأعمال المشاركة في المسابقة الرسمية للمهرجان أو في الأعمال التي صنّفت في ركن المسارح المسرحية والتي تمّ انتقاؤها وفقا للقيمة الاعتبارية لمبدعيها. وهو ما أدى بلجنة التحكيم الدولية إلى إسناد كل الجوائز: التمثيل النسائي والتمثيل الرجالي

والنصّ والسينوغرافيا والإخراج، مناصفة. أما جائزة العمل المتكامل، فقد حُجبت، وفقا لما أشارت إليه لجنة التحكيم في تقريرها من ضعف للأعمال المرشحة للمسابقة وغياب النفس الإبداعي المميّز في جملة هذه الأعمال. وهي سابقة تؤشّر على عمق الصعوبات التي ذكرناها سابقا، والتي تعمّقت بفعل التشويش الحاصل على الفعل الثقافي عامّة، بعد أحداث 14 جانفي 2011.

ومن أبرز ما أظهرته الدورة انتكاسة المسرح التونسي المعروض في واجهة الأيام فقد خرج من الدورة بخفي حنين، بعد أن عرف بحصاد وفير سواء في المهرجانات الوطنية أو الدولية منها. وهو ما يعيد طرح مسألة انتقاء العروض المترشحة و ضرورة معابنتها من طرف لجنة مختصة عن طريق المشاهدة العينية وليس عن طريق التسجيلات المرئية كما يحصل عادة في مختلف دورات المهرجان، ويتسبب في خيبات الأمل لدى المحتمكين ولكن أيضا لدى الجمهور.

وفيما يتعلّق بالفعاليات الفكرية التي انتظمت على هامش الدورة، فإن الندوة التي نظّمت حول موضوع النقد المسرحي، طرحت إشكالية على قدر من الخطورة.

لقد اعتمدت الورقات المطروحة في الندوة مسائل تتعلّق بالتنظير حول المسرح في مختلف البلدان

العربية وهو تنظير انطلق من النظريات الغربية القديمة في مجمله، كما أنه التصق بالتجارب المسرحية ضمنيا وليس في علاقتها الجدلية بالفعل النقدي كقراءة للفعل المسرحي وإعادة صياغته معاينة وتأويلا.

وفي حين ارتبك تنظيم حفل الافتتاح بحدث قرار الرئيس ترامب إعلان القدس عاصمة للكيان الصهيوني، وألغيت مراسم الاحتفالات في الساحة العامة، فقد وقعت محاولة تدارك ذلك في حفل الاختتام. إلا أن استعمال « mapping » في واجهة المسرح البلدي كانت على درجة من السطحية التي تنم عن العجلة في إعدادها والتسرّع في برمجةها. فجاء حفل الاختتام باهتا يفتقر إلى الحيوية المميّزة للحدث المسرحي. وقد أكد ذلك ثقل الصعوبات التي تلاحق المهرجان. لقد حاول مدير الدورة، حاتم دربال وهو قائم من قامات المسرح التونسي كفاءة علمية وركحية، أن يستدرك الصعوبات المحيطة بالدورة بل والتحديات التي ذكرنا، لكن ثقلها أنهك قوى التنظيم وموارده البشرية المحدودة، علاوة على الإمكانيات المادية.

أسدل الستار على الدورة التاسعة عشرة من أيام قرطاج المسرحية ولكن على الركح صراعات ما تزال تتعمل وتنفعل في عرض لن ينقطع قبل الانتباه إلى مصير المهرجان، بل ومصير المسرح في تونس وفي العالم العربي والإفريقي. ف.ب.م.

Jawhara FM

إذاعة وطنية

90.7 | 103.2 | 98.6

TUNIS

NORD OUEST
ZAGHOUAN
CAP BON

GABES
SFAX

Bizerte
TUNIS

Nabeul
Zaghuan
Sousse
Monastir
Kairouan
Mahdia
Sfax
Gabes



FM

Jawhara

الدنيا و ما فيها



بوليوود: سينما من الهند



• بقلم الدكتور محمد ناظم
الوسلاني

الهند بلد مترامي الأطراف معروف بتنوعه الثقافي والعرقى واللغوي، إضافة إلى تعدد موارده الطبيعية والصناعية مما يجعله يتبوأ مركزاً متميزاً بين بقية البلدان، خاصة بصناعته الرائدة في مجال الترفيه الثقافي، ونعني بالخصوص سينما بوليوود. وهي سينما قد جلبت الأنظار خلال العقدین الأخيرین وأسالت كثيراً من الحبر في الصحافة العالمية وأولاهها نقاد السينما عناية كبيرة. غير أن الإلمام بهذه الصناعة السينمائية لا يزال محدوداً، سطحياً، وخالياً في بعض الأحيان من الموضوعية. الحقيقة أن الهند لا تزال أكبر منتج للأفلام في العالم، حيث تنتج أكثر من 800 فيلم سنوياً. قبل بضعة سنوات تجاوز هذا الرقم 1000 فيلم في السنة، حيث أن ما يقارب 90% من الإنتاج السينمائي في الهند ينتمي إلى «السينما الشعبية» كما يسميها نقاد السينما والتي هي على نقيض السينما الفنية والتجريبية التي تعتبر حكراً على النخبة المثقفة وتحظى باهتمام كبير في الغرب من خلال أعمال «ساتياجيت راي»، «مرميسين» و«أدور بالاكريشان».

كما

تعتمد صناعة السينما في الهند على العديد من مراكز الإنتاج وذلك حسب اللغة المستعملة (الهندية والتاميلية والتيلوجو والبنغالية وغيرها). وتعتبر مومباي (بومباي سابقاً)، العاصمة الاقتصادية للهند وفي نفس الوقت مركز الإنتاج الرئيسي الأكثر شهرة لصناعة السينما الهندية الشعبية، التي أطلق عليها تسمية «بوليوود» في أواخر السبعينات.

في الواقع، هذه التسمية لا تطابق الواقع الجيو اقتصادي لأن بوليوود ليس لها وجود كمكان مادي، مثلما هو الحال لهوليوود وهي منطقة في مدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية وتعتبر المركز التاريخي لإنتاج الأفلام والعاصمة العالمية لسينما، هذا دون أن ننسى أن بوليوود تنتج فقط 25 في المائة من مجمل الأفلام التي يتم إنتاجها سنوياً في الهند.

إن السينما في الهند ليست مجرد فن بل هي عقيدة لها طقوسها وتقاليدها، فهي بمثابة الفريضة اليومية التي يمارسها الهنود والتي تمكّنهم من راحة نفسية بعد تأديتها.

ولكن ما يمكن ملاحظته هو أن بوليوود لا تروق كثيراً للغرب، ولئن حظيت هذه السينما في السنوات الأخيرة باهتمام متجدد ومتزايد. فهي منبوذة من قبل بعض الأكاديميين ونقاد السينما والمفكرين في الغرب فلطالما وصفوها بسينما الهروب من الواقع، إذ هي تكرر باستمرار نفس القصة وتسعى دائماً إلى تطوير جماليات صاخبة ومبتذلة بعيدة كل البعد عن المجتمع والثقافة الهندية.

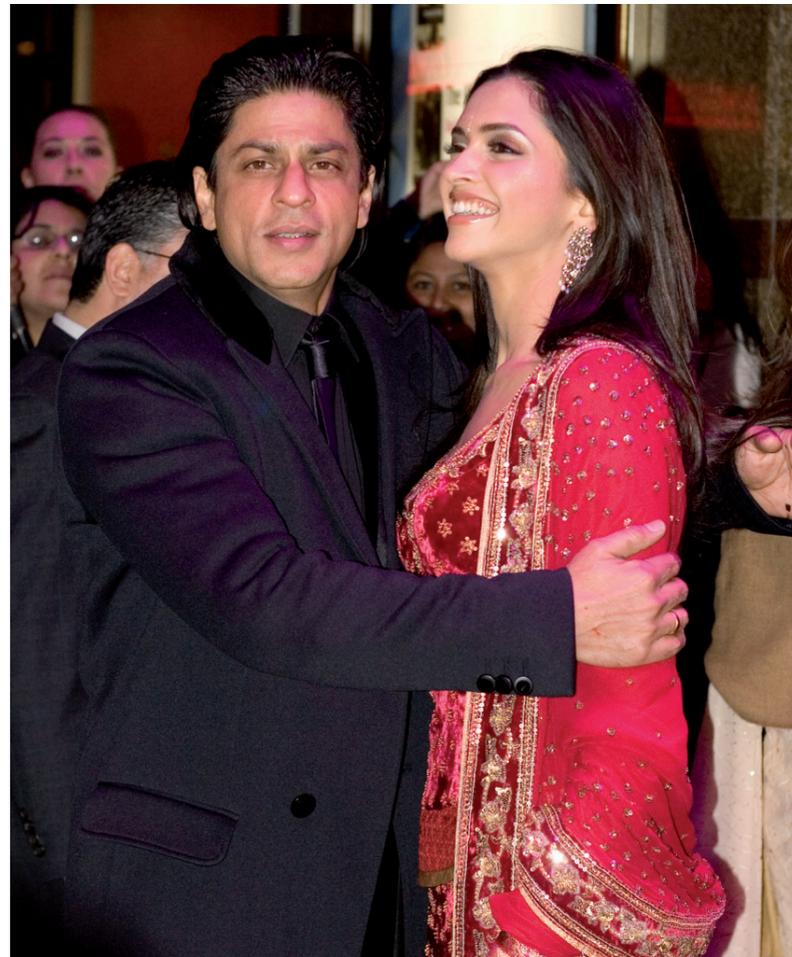
في الواقع، لا توجد رغبة حقيقية في إجراء فحص دقيق ومعتمد لآليات سير هذه الصناعة الثقافية الخاصة جداً وعملها، لأن هناك محاولة لوضع أي ثقافة متميزة تحت وصاية الثقافة السائدة التي تريد إجبارها على الامتثال لقوالب

وأماط ثقافية معينة. ففي حالتنا هذه، الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، هو الذي يملئ قواعده ويفرض أيديولوجيته ويصدر أفكاره إلى بقية العالم. فهذا الغزو الثقافي يهدد باستمرار هوية مختلف الشعوب المجبورة على الانصياع لغير إرادتها، ويساهم بشكل أساسي في ترسيخ الثقافة الغربية والقضاء تدريجياً على المرجعيات الثقافية الخاصة بكل بلد. ومع ذلك، فقد كانت الهند قادرة على الصمود أمام الهجمة الشرسة للثقافة الأمريكية وحاولت أن تحافظ بكل الوسائل على القيم والمبادئ التي تعتبر الركيزة الأساسية للمجتمع الهندي مثل العلاقات الأسرية والديانة والصداقة وانتصار الحق على الباطل إلخ...

فوليوود هي بالدرجة الأولى سينما فريدة من نوعها ومختلفة عن بقية الأنواع السينمائية المتعارف عليها خاصة وأنها في طبيعة تامة مع الواقع وقد اختارت عمدا الابتعاد عن اللغة السينمائية العالمية والاتجاهات الفنية

الغربية لتتخرط في سياق ثقافي محلي، بما في ذلك اعتمادها على معايير خاصة بها كتحديد مدة العرض (معدل ساعتين ونصف لكل فيلم) مع إقحام مقاطع غنائية راقصة في النسيج الروائي (معدل 6 أغان في الفيلم الواحد) وتحديد مقاييس الرقابة الخاصة بها إلخ... لهذه الأسباب فهي لا تروق لكافة الأذواق خاصة بالنسبة إلى أولئك الذين ليسوا على دراية بطبيعة هذه الأفلام وخصوصيتها.

لذلك، من الأفضل أن نترك جانباً الكمّ المعرفي ومقاييس الأحكام الجمالية المتفق عليها عند الغرب لتسهيل عملية التقييم والفهم الموضوعي للأفلام الهندية المتجذرة في الأساطير الهندوسية (ماهابهاراتا ورامايانا)، إضافة إلى الموسيقى والرقص والمسرح الكلاسيكي المحلي. وربما كانت هذه هي الحلقة المفقودة في علاقة هذه السينما مع الغرب، الذي لم يع بعد أن السينما فن شامل وجامع لبقية الفنون الأخرى. م.ن.و.





شركة عقارية قمرت
شركة خفية الإسم رأس مالها 1 000 000 دينار
مقرها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممر بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
المعرف الجبائي: 425194L/P/M/000
الهاتف: +216 71 962 218 أو +216 71 960 100
الهاتف الجوال: +216 98 910 000 الفاكس: +216 71 962 175
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

إعلان بيع

طلب عروض عدد 01 لسنة 2018

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب شركة «الخطاطيف» في أرض مقام عليها بناية «نزل الكنتنتال سابقا» كائنة بمدينة توزر (قسط وحيد):



- أرض على شكل شبه منحرف مقام عليها بناية R+1 (نزل سابقا)
- مساحة العقار : حوالي 23.000 م²
- مساحة البناءات : حوالي 8.500 م²
- الرّسمان العقاريان : 1316 توزر و 1496 توزر
- العنوان : شارع أبو القاسم الشّابي، على الحافة الجنوبية من وسط المدينة يطل مباشرة على واحة النخيل- توزر

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعية للعقار على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت».

الموقع العام للعقار : تقع الأرض على الطريق الرئيسية والسياحية لمدينة توزر ، شارع أبو القاسم الشابي، والذي يربط بين مركز المدينة العتيقة والمنطقة السياحية وهو على مقربة من متحف «دار شريط».

يحده من الجهة الجنوبية الشارع السياحي وواحة النخيل لمدينة توزر ومن الجهة الشرقية الشّارع السياحي المؤدي إلى حديقة الحيوانات «بلاد الحضر» ومن الجهة الغربية المدرسة السياحية بتوزر.

كل الرّسوم العقارية و المنقولات موضوع طلب العروض يتم التفويت فيها خالية من الرّهون أو التحملات و ترجع ملكيتها الى الشركة العقارية «الخطاطيف»، شركة صادرة على ملك الدولة التونسية.

عرفت البناية و المنشآت المقامة على العقار بعض آثار التدهور والتخريب.

يتعلّق البيع بالعقار على الحالة التي هي عليه كما تقع معاينته من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم.

المهتمون بطلب العروض مدعوون عند الإقتضاء إلى ربط الصلة بالجهات الإداريّة المحليّة والمصالح الفنيّة المختصّة لمزيد التثبت من صبغة العقارات ووضعيّتها قبل المشاركة، وتضمن عقارية قمرت شركة الخطاطيف للمشتري استحقاق المبيع وتمنعان عنه كل شغب مادي أو قانوني مصدره الغير وتكونان متضامنتان معه في حال نشوب نزاع لاحق بسبب انتقال الملكية إليه.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة العقار الموضوع للبيع. وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدة من **02 جانفي إلى 14 فيفري 2018**. ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدم إلى شركة «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحددة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائتي دينار (200 د) نقدا أو بواسطة صك يسلم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

ترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المُرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»

العنوان : نهج بحيرة أناسي - ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس

الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 01 لسنة 2018

« لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكوّن ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتبّة من «أ» إلى «ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في ذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراسات الشروط والمحدّد جزافيا بمبلغ سبعون ألف دينار تونسي (70 000 دت).

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الخميس 15 فيفري 2018 على السّاعة الثالثة بعد الزوال (15س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنية في نفس اليوم على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال (15س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل). ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم لمدة مائة و خمسون (150) يوما بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام:

(+216 98 910 000 أو +216 73 369 037 أو +216 71 960 100).



منذ أول شبابه، كان الطيّب المهيري يحظى بالاحترام والود، من لدن رفاقه. وقد انخرط في الحزب الحرّ الدستوري الجديد، منذ كان تلميذاً في الصادقية، رغم أن عائلته كانت تنتمي إلى اللجنة التنفيذية. ←

الطيّب المهيري (1924 - 1965) كانت كلمته لا تردّ عند بورقيبة



• بقلم الشاذلي القليبي





بفضل

ما كان له من نشاط، وسليقة، والتعامل الإيجابي مع الغير، اكتسب، لدى المناضلين، نفوذاً أدبيا ما فتىء يتعاضم، حتى جعله في عداد الزعماء، وهو لا يزال في عُنُقوان الشباب.

وأُسندت إليه وزارة الداخلية، في ظرف صعب مع المقاومين، فاستطاع أن يفرض هيبة الدولة وكلمة الحزب.

ومما اشتهر به، طيلة عمله في الحزب وفي الحكومة، متابعة أهم القضايا، في الداخل وفي العلاقات الخارجية؛ وكانت له، عند تدخّله في مناقشتها، كلمة لا تُردّ، عند المجاهد الأكبر.

وعندي أنه، لو كان حيّاً، عند تأزم الأجواء تجاه النظام التعاضدي، لاستطاع أن يفرض ما به تجاوز الصعوبات الطارئة، فيقي البلاد الوقوع في الزوبعة التي زعزت أموراً كثيرة.

وفي ذاكرتي دوماً ما قاله لزوجته، على سبيل التفكّه، يوم تدشين قصر قرطاج - وما أحسبه إلاّ محدّثاً به نفسه. فقد قال لها، وهي تعبّر عن إعجابها بفخامة القصر: «قد يكون لك، يوماً، فتكوني أنتِ، صاحبة الأمر والنهي فيه».

ولا شكّ أنّه كان جديراً بالخلافة. ولا غرو أن كان يحدث نفسه بها، لكن دون ميل إلى الجهر بالأطماع التي لا تليق بالمناضل الملتزم.

كان الطيّب المهجري يجعل تونس فوق كلّ اعتبار، من أجل أمنها، وسيادة دولتها، وكرامة شعبها. وهذا الثالوث هو الذي ينبغي أن يتخذه الشباب شعارهم، اليوم، ومنازةً لتبنيّ سبيل المستقبل. 



• بقلم عامر بوعزة

أسئلة محمد الباردي في سيرته الذاتية

كتب محمد الباردي الجزء الأول من سيرته الذاتية بين سنتي 2003 و2007 وأصدرها في العام 2008 عن دار كنعان للنشر في سوريا تحت عنوان «حنة»، في تلك الفترة أيضا وتحديدا في العام 2005 أصدر كتابه النقدي: «عندما تتكلم الذات»: «السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث» عن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق، وسنجد تطابقا تاما في الإشكالية العلمية والمنهج النقدي والخلاصات بين هذا الكتاب ومقال نشره بعنوان: «السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: حدود الجنس وإشكالاته» نشر في عدد خصصته مجلة فصول سنة 1997 للرواية العربية»، ما يعني أن محمد الباردي قد توج اهتمامه الأكاديمي بالسيرة الذاتية والذي استغرق جزءا مهما من حياته العلمية بكتابة سيرته هو، وانتقل بذلك من موقع الناقد والأستاذ الجامعي إلى موقع الكاتب المبدع، وهو أمر لمن الصعوبة مِمَّا كان إذ قد تلجم المعارف النظرية في كثير من الأحيان اندفاعا الفن وتلقائية الإبداع. حصل ذلك قبل عشر سنوات من تاريخ وفاته في العام 2017، فمن الواضح أنه قد كرس خمسينات عمره وستيناتها في تأمل مجريات حياته وتدوينها في شكل إبداعي: سيرة ذاتية روائية منتصرا في نهاية حياته إلى الفنان المبدع في ذاته. ←



الباردي وإعادة اكتشاف أدب الذات

خَلَّص محمد الباردي في كتابه «عندما تتكلم الذات» إلى اقتراح مفهوم جديد للسيرة الذاتية يُعرفها بأنها «حكي استعادي نثري بأشكال سردية متنوعة يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص والعام، وذلك عندما يركّز على حياته الفردية والجماعية وعلى تاريخ شخصيته الكلي والجزئي»، والعمل على تعريف جديد يعكس في حد ذاته أن أدب الذات جنس أدبي يصدد التشكّل لم تكتمل ملامحه بعد، ويبدو الباردي من خلال تحليله للأسس النظرية لهذا الأدب منتصرا لجورج ماي في معارضته فيليب لوجون واحترازه خصوصا على التصلب المفرط في تعريفه الذي يحدّد مجال السيرة الذاتية بأنها «حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص» فقط، ويتوضّل الباردي من خلال دراسته لنماذج من أمهات السير العربية إلى أن السيرة الذاتية هي أيضا رواية لعلاقة المؤلف بالحياة العامة، من ثمة كان اختلافه عن فيليب لوجون في التعريف المقترح يتمثل في إضافة الحياة العامة مختلف أشكالها، فالسيرة تشتمل على حياة المؤلف الفردية والجماعية وتاريخه الكلي والجزئي ووجوده الخاص والعام، من هذا المنطلق النظري تبدو لنا «حنة» رواية عن محمد الباردي الطفل وعن مجتمع قابس المحلي في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، فالمؤلف لا يكتفي في سيرته الروائية بسرد ذكرياته في عالمه العائلي الخاص بل يتجاوز ذلك إلى سرد وقائع تتصل بحياة الفلاحين والنساء والفتوات والمعلمين والموظفين وكل الشخصيات التي تتحرك في دائرة مغلقة هي طفولة الكاتب أو ما ظل نابضا فيها بالحياة بعد مضي أكثر من نصف قرن، وإذا أردنا الدقّة أكثر، قلنا: ما يستطيع الكاتب أن يتذكّره ويعيد كتابته في زمن مغاير عن زمن التجربة هو زمن الكتابة والفاصل بينهما يفرض سطوة النسيان كما يفرض سلطة الانتقاء.

السيرة الذاتية بين النظرية والواقع

لكن الباردي الروائي وهو يستعيد وقائع من حياته الخاصة والعامة في مرحلة الطفولة لم يتخلّص كلياً

من هاجس السيرة وإشكالاتها النظرية، فالقارئ يلمس بعض الحيرة التي تعتربه وهو بصدد مسألة الماضي ورسم استراتيجيات للتذكّر بما يحيل على ما يطرحه الناقد عادة من أسئلة تقنية تتعلق بهذا الجنس الأدبي، نجد هذا الهاجس في افتتاحيات الفصول بمثابة الرابطة بين الوحدات السردية، وهذه الفقرات المبتوثة في مختلف وحدات السيرة الروائية توسّع نطاق «الميثاق السير ذاتي» الذي يعتبره الناقد ركنا أساسيا في دراسة أدب الذات يميّزه عن الرواية بما هي عمل نثري حرّ ومتخيّل غير مطالب فيها كاتبها بالتزام الصدق. والميثاق عند الباردي يسفر عن ضرب من التوجّس في العلاقة مع القارئ المتوقّع، يقول الراوي وهو يحادث نفسه في الفقرات التي يجعل فيها من الذاكرة والكتابة محورا لتأملاته: «تستطيع الآن أن تغوص في ذاكرتك وأن تذهب بعيدا بعيدا، ولكن سيتهمك من سيقراً هذه الأوراق بأنك تُجمل حياتك وتزيّن أيامك السالفة»، ويذكرنا هذا التساؤل بقصة محمد شكري الشهيرة مع المترجم الياباني الذي زاره ليطلع على الأماكن التي دارت فيها وقائع «الخبز الحافي» فتوقّف عند صهرج صدى وصفه الكاتب في سيرته قائلا إنه يبدو في الرواية أجمل منه في الواقع! أو ليست تلك هي وظيفة الفن؟

إضافة إلى التوجّس تبدو لحظة الكتابة عند الباردي لحظة توتر قصوى فهو يفصح عن أن استراتيجية التأليف الأساسية تقوم أولا على التذكّر: «بقي الكثير ورحاب الذاكرة واسعة ولكن اللحظة المثيرة التي تريد اقتناصها تلاحبك، تراودك ثم تختفي الصورة وعلى الصورة أن تظهر» وهذا أمر طبيعي إذ يجهد نفسه في تذكّر التفاصيل لإعادة بناء كل مشهد من مشاهد السيرة: «أحاول الآن أن أرسم ذلك الشارح الطويل الضيق الذي عشت فيه، ذاكرتي تخونني أحيانا ولكنني أستطيع رغم ذلك أن أحدد عناصره وأن أوثّق الحياة التي كانت تجري فيه»، هكذا يصف الباردي عملية التذكر التي تصبح جزءا أساسيا من قصة الكتابة أو «قصة القصة كتبت»، حتى إن التذكر يصبح في بعض الفقرات آخر مرحلة من المراحل بعد الخلق والإبتكار «يكفي في هذه اللحظة أنك

تخلّق بأجنحتك وتعود إلى أماكن لن يجدها أحد، تعود إليها، تخلقها، تبتكرها، تتذكرها، ولكنك واجد فيها لذة لم تعشها سنين عديدة». لا يفوت الباردي أن يعلّق على هذه المفارقة في موضع آخر بحسّ الناقد اليقظ: «لا أمثّل الأشياء كلها كما كانت أو كما يجب أن تكون بل كما أراها، لذا قال أحد الكتاب إذا كانت معظم الروايات هي سيرة ذاتية مموّهة فإن السيرة الذاتية هي رواية مموّهة، لست أدري هل تصخّ هذه المقولة على هذه الأوراق التي أكتبها الآن؟».

لكن التوتّر الذي يسيطر على مناخ التذكّر والكتابة هو جوهر عملية الخلق الفني التي تتجلّى وسط عاصفة من التساؤلات تعكس قلقا وجوديا أصيلا «إنك تريد الآن أن تقف في وجه الزمن أن تجمع بين لحظتين: لحظة تريد استرجاعها تخرجها من باطن الذاكرة من أعماق الأيام الراحلة، ولحظة راهنة تعيشها الآن وأنت تخطّ هذه الورقات الحميمة ولكنها هي الأخرى تتأهب للرحيل».

«حنة» هي واحدة من أهم تجارب السيرة الذاتية في تونس والوطن العربي، لا تستمد أهميتها مما توفّره من صور ومشاهد عن البيئة المحلية في الجنوب التونسي في الخمسينات من القرن الماضي فحسب وإنما مما يعتمل فيها من تساؤلات حول السيرة الذاتية بوصفها موضوعا علميا انكبّ على دراسته المؤلف ردا من حياته الأكاديمية، ولعلّ في اختيار عبارة سيرة روائية وصفا للجنس الذي ينتمي إليه هذا الكتاب ما يمنح صاحبه مطلق الحرية في الكتابة وهو يعترف بذلك حين يقول: «ستضيف كل رواية إلى المشهد عنصرا جديدا وسيلعب الخيال لعبته»، لكن أيا كانت حدود الواقع في النص وطبيعة العناصر المثيرة المضافة إليه فإن الذاكرة الانتقائية هي البطل الخارق في نص «حنة» والانتقاء يستند إلى منطق بديهي وجازم «فالأشياء التي نساها هي الأشياء التي لا تؤثر فينا، لكن تلك التي لا نزال نذكرها تشعل في قلوبنا حريقا لا تقدر الأيام على إطفاء جذوته».

ع.ب.



• بقلم د. الحبيب الدريدي



نازلة محمود بن عياد

كبرى قضايا الفساد في تاريخ تونس

لا خفاء أنّ مكافحة الفساد أضحت اليوم من الأولويات المطلقة في بلادنا، تتولاها الحكومة وبعض الهيئات المختصة ومكونات من المجتمع المدني، وهو ما يحملنا على العودة إلى التاريخ للوقوف على كبرى قضايا الفساد التي عرفتها تونس وهي ما يُعرف بنازلة محمود بن عياد.

ولعل اسم محمود بن عياد سيظلّ مقترنا على مرّ العصور بأضخم قضية فساد ماليّ في تاريخ البلاد، فقد استنفد بحيله في الاختلاس والتربّح غير المشروع كل ما في دار المال من سيولة وتحوّل من أوامر الصرف والرّسوم الماليّة التي تتضمّن ديونا على الدولة لفائدته ما فاق مداخيل المملكة وثروتها حتّى قال ابن أبي الضياف في إحافه: «لو تمّ مراد ابن عياد... كانت المملكة في أسره لوقتنا هذا لكثرة ما بيده من الأوامر والرّسوم».



يكن محمود بن عياد في بداية أمره سوى أمير لواء، ولكنّه ينتمي إلى أسرة عريقة في التجارة، ويبدو أنّه استغلّ في ولاية مصطفى باي صداقته الحميمة بوليّ العهد المشير أحمد باي وتسلّل إلى أروقة القصر فصار هو ووالده محمّد بن عياد من التّجار الذين يزودون الدولة ببعض ما تحتاجه من اللّوازم والمؤن. وتعرّزت مكانته بعد وفاة مصطفى باي وتولّي ابنه أحمد باي الحكم فعُهد إليه بتصدير ما تنتجه البلاد من الرّيت وتوريد ما تحتاجه من الحبوب وغيرها من الموادّ والقيام بما يلزم العسكر من الكسوة.

مصائب قوم عند قوم فوائد

توالى على البلاد التّونسيّة في أربعينات القرن التّاسع عشر سنوات جذب وإمجال تناقص بسببها إنتاج الحبوب فاتّجعت إلى استيراد القمح والشّعير من فرنسا، وهكذا كلّف أحمد باي محمود بن عياد مهمة استجلاب الحبوب إلى تونس بالأموال التي سيحصلها من بيع الرّيت هناك مقابل حصوله على نسبة من تلك الأموال. ولمّا كان بن عياد يشرف على ما يُسمّى آنذاك بـ«الرّابطة» وهي إدارة مطامير خزن الحبوب للدولة (وكانت تقع في المكان الذي أقيم عليه المستشفى الذي يحمل اليوم الاسم نفسه) فقد زعم أنّه اشترى حبوبا من فرنسا غير أنّه استولى على كامل أموال بيع الرّيت وأخرج ما يحتاج إليه من الحبوب من مخزونات مطامير الرّابطة.

ثمّ سعى لدى الباي إلى أن يُغيّر صيغة إشرافه على «الرّابطة» فعقد معه اتّفاقا سرّيّا تحوّل بمقتضاه من موظّف سام يُدير «الرّابطة» إلى مستلزم يتولّى قبول القمح والشّعير من الفلّاحين على أن يدفع مبلغا معيّنًا من المال إلى الدولة في كلّ سنة وأن يبيعه العشرة مكاييل من الحبوب بسعر الاثني عشر، وسمّي على هذا الأساس وكيلًا للرّابطة.

إلا أنّه استغلّ كذلك هذه اللّزمة السريّة لانتهاب الدولة والفلّاحين معا. أمّا الفلّاحون فإنّه يقبل منهم العشرين مكايلا على أنّه عشرة فقط لحيل عجيبة وطرائق مخصوصة يأتبها الكيّال عند قبول القمح يتضاعف بها حجم البضاعة، وأمّا الدولة فإنّه يدفع لها ستّة مكاييل على أنّها عشرة بحيل في التّطفيف مُشابهة. وعلى هذا فهو إذا اكتال من الفلّاح يستوفي وإذا كال للدولة يُخسر كما جاء في آية المطففين. والخلاصة أنّه يُقاضي الفلّاحين النّصف ممّا يستحقّونه ويتقاضى من الدولة ضعف ما يستحقّ، فاجتمعت له ثروة طائلة من استلزام الحبوب.

والأدهى من ذلك كلّ ما ترتّب عن هذا الفساد من وخيم النّتائج على حال النّشاط الفلاحيّ، فقد زهد الفلّاحون في بذر أراضيهم بسبب الضّيم الذي لحقهم حتّى كادت أن تنقطع زراعة الحبوب وبقيت الضّيعات مراعي للذّواب ومبيتا للوحوش وتفاقم الأمر وانتشر الفقر وصارت

دفاتر الأعشار (جمع عُشر وهو ما يدفعه الفلّاح للدولة ضريبة على إنتاجه) تأتي من الجهات وأكثر «الهناشر» يُكتّب اسمه مقترنا بلفظ «أبيض» كناية عن عدم البذر.

ومثلما استنبط حيلًا لنهب الأموال في لزمة الحبوب استنبط طرائق أخرى للتّحيل على الدولة في قضيّة تصدير الرّيت. فلمّا كان مكلفًا بتوريد القمح والشّعير بالأموال التي يحصلها من بيع الرّيت فإنّه دبر حيلة تمكّنه من مضاعفة مرابيح من هذه العمليّة، فقد أقنع وزراء الباي بأن يدفع الأموال المتعيّنة من تصدير الرّيت عاجلا مقابل التّخفيض في مقدارها. وهكذا استغلّ محمود بن عياد حاجة الدولة الملحة إلى المال النّاص ليفرض عليها إكراهها تسليمه الرّيت المعدّ للتّصدير بأسعار أقلّ ممّا هو معيّن فيتثقل بذلك خسائر الدولة وينمي أرباحه بغير وجه حقّ.

ومن اللّزمات التي أُسندت إلى محمود بن عياد لزمة القيام بما يحتاجه العسكر من الكسوة، وقد استغلّ في هذا المجال شغف المشير أحمد باشا باي بالمبالغة في تجهيز العسكر وتكثير عدده ليطلق يده في تزويد الجيش ويكلّف الدولة أموالا باهظة، وقد ذكر بعض من أطلع على دفاتر حساباته بأنّه لا يرضى في الرّبح بمثل رأس المال.

ولمّا تعاضمت مصاريف العسكر ولم يعد بالإمكان خلاصها في إبّانها احتال في إحداث ما كان يُسمّى الرّسوم الماليّة (ضرب من الصّكوك يختمها صاحب الطّابع ويتقاضى حاملها من دار المال المبالغ المنصوص عليها بها) حتّى أنّه عندما طلب من الباي أن يحاسبه على لزمة أكسبة العسكر أنتجت المحاسبة أنّ له قبل الدولة خمسة ملايين من الرّيبالات أخذ فيها تذكرة من الباي مُحصّلها أنّ المأمور بدار المال يدفع لحامل هذه التّذكرة المبلغ المذكور.

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وأمام تفاقم العجز وفداحة الضّرر الذي لحق بخزينة الدولة كان لا بدّ أن يُطلع العارفون الباي على حقيقة الأمور فوقف بنفسه على كيفيّة كيل الحبوب عندما شخّص له أعوان الكيل طرائقهم في التّطفيف ورأى بأنّ عينه كيف أنّ نصف «القفيز» من القمح يُصبح ربعا حتّى أنّه صدم من هول ما اكتشف ولم يحتمل المشهد فأمر خير الدّين باشا بأن يحضر بقيّة الكيل.

ومن هنا بدأ بن عياد يشعر بالخوف ويفكر في سبيل للتّجاة لا سيّما بعد حادثه «القمح المصري»، فقد اشترى بن عياد مؤونة عسكر المحمديّة من قمح مصر وادّعى أنّه من القمح المحليّ، فاشتكى قادة العسكر من ذلك فقال لهم: «إنّ المملكة ليس بها قمح كثير وشرائيّ منها يُغلي السّعر» فرُفع ذلك إلى الباي فأمر أمير لواء العسكر

← محمد المرابط أن يقول لابن عياد في صحن القصر بالمحمدية محضر أكابر العسكر: «إن سيدنا قال لك: عسكر المحمدية لا يأكل إلا قمح تونس فدبر لهم في ذلك وإلا ندفعك لهم يأكلونك».

وتعلل بن عياد بأنه يريد السفر للتداوي من مرض أم به وليبيع أوامر تصدير الزيت فأذن له الباي في ذلك فجمع في الباخرة المعدة للسفر أمواله وصناديقه وفيها سائر دفاتره وحجج ديونه وقرارات تكليفه بالمهام التي عهدت إليه في شراء الحبوب وتصدير الزيت وفواتير مدفوعاته وسائر ما تحت يده من الرسوم المالية استعدادا للفرار. غير أن الطريف في حادثة هروبه هو أن والده محمد بن عياد أبلغ الباي بعزم ابنه على أن يسافر سفر هروب، وقدم من الشواهد والبيّنات على صدق زعمه ما لا مجال للطعن فيه، وذكر له أنه جمع كل دفاتره وسجلاته ووثائقه وأمواله بما يدل على أن لا نية له في العودة وقال له: «فإن وجدت الحال كما ذكرته فلك النظر وإن وجدت الحال بخلافه فدونك والحكم فيّ بما تراه» فأعرض الباي عن ذلك وقال: «إن محمد بن عياد صاحب غرض ولو مع أولاده، فأراد أن يحرمني من خديم ناصح مثل محمود وأنا على يقين أن ما ذكره لا وجود له، وإذا وجدته كاذبا لا أرضى أن أعاقبه على كذب ظاهره نصيحة»، بل إنه قال ذلك لمحمود بن عياد قبيل سفره: «إن والدك أسر إليّ بأنك غير عائد لأنك حملت معك سائر ما تحتاجه من المكاتب ولكتبي لم أصدق ذلك».

وعندما سافر بن عياد في 16 جوان 1852 ترك ابنه ونوابه يقومون بمقامه في استخلاص ديونه ومباشرة أعماله وحضهم على إرسال ما يستخلصونه من المال.

ثم نُشر في الصحف الفرنسية أن محمود بن عياد حصل على حماية الفرنسيين لأن من يملك من الأجانب مسكنا في باريس ويقوم به على وجه دائم ويطلب الحماية فإن فرنسا تحميه.

ولم يكتف بن عياد بما اختلسه وهربه من تونس بل استمر في نهب خزينة الدولة حتى وهو في فرنسا فبعث مع بعض نوابه رسوما مالية وأوامر في تصدير الزيت وشرع هؤلاء في صرفها نقدا حتى أن ما دفع لهم من الرسوم فاقت قيمته السيولة الموجودة بالخزينة. ولما كثر تردد نواب بن عياد على دار المال لصرف ما بأيديهم من الرسوم أتى وكيلها نسيم بيشي اليهودي إلى مصطفى خزندار وأخبره الخبر فتلطف في إخبار الباي فحزن وقال: «إننا لله وإنا إليه راجعون، من مآثمه يؤتى الحذر». فقرر خزندار غلق دار المال توقيفا للضرر ومكاتبه قناصل الدول الأجنبية لإعلامهم بذلك. وصادف هذا الظرف دق طبول الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، وقد جرت العادة أن توجه تونس عسكريا لمناصرة إسطنبول في حروبها فاضطر الباي أن يجمع سائر ما خزانته من المصوغ والأحجار الثمينة والجواهر النفيسة وتبرع وزيره



مصطفى خزندار بجميع ما عنده من ذلك حتى حلي زوجته أخت أحمد باي وبعثوا بجميع ذلك إلى خير الدين لبيعه في فرنسا فامتثل وبعث الثمن وقدره نحو المليون فرنك أنفقت في لوازم العسكر الذي بُعث للدولة العثمانية. ثم تحولت سرقات محمود بن عياد إلى قضية لدى المحاكم الفرنسية باشراها في البداية الوزير جوزيف رافو ثم عهد بها إلى خير الدين باشا الذي قضى بفرنسا سنتين كاملتين وانتهى بفضل صادق جهده وعمق شعوره الوطني إلى إنصاف الدولة التونسية حيث قضت الأحكام الصادرة بعد طول نزاع إلى أن كل ما قدمه بن عياد من رسوم مالية وأوامر في سراح الزيت لاغ ولا يعتد به وأن ما أخذه من أموال عينية من دار المال يرده. وهي من أهم مآثر خير الدين ومزاياه على الدولة التونسية.

والحق أن هذه النازلة تكشف إعاقات نظام الحكم وطرائق تسيير الدولة في تلك الفترة. فمع رسوخ تقاليد الحكم الفردي المطلق وغياب أدنى أشكال الرقابة الإدارية والمالية وافتقار الدولة إلى جهاز تشريعي يحمي مصالحها ومؤسسات ترشد تصرف شؤونها تفتح أبواب الفساد على مصراعها وتهد سبل انحدار الدول وتفككها وسقوطها، وهي لعمري من أعظم عبر التاريخ ودروسه، إذ «التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار وفي باطنه نظر وتحقيق».

ح.د.

شمس FM

تونس الكبرى

101.7 FM

بنزرت

95.7 FM

صفاقس

96.2 FM

القيروان

107.0 FM

سوسة

93.7 FM

قصة

88.7 FM

الوطن القبلي

106.5 FM

المنستير

90.6 FM



• بقلم خالد محمد عبده

محمد إقبال والتصوف : بطاقة حياة

لقد جاء إقبال كرسول إن لم يكن
لعصره فلا سائر العصور

نيكلسون

وُلد محمد إقبال في سيالكوت بالبنجاب الغربية في الثالث من ذي القعدة عام 1294هـ الموافق للتاسع من نوفمبر عام 1877، وتعود أصول إقبال إلى أسرة من براهمة كشمير، عُرفت باسم (سرو) وهي كلمة سنسكريتية الأصل تعني السباق إلى العلوم والمعارف، ومن هو على دراية بالقراءة والكتابة والمدارس، وكما يصف إقبال هذه العائلة، كانت من الذكاء والمعرفة بمكان كبير. ←



يخبرنا

جاويد إقبال أن هذه الأسرة كانت متديّنة إلى حد كبير، فكان جدّه الأعلى الذي اعتنق الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي واحداً من مشايخ الطرق الصوفية البارزين في كشمير، ويصفه إقبال نفسه بأنه كان أحد الأولياء المرموقين في عصره [1421 - 1470هـ]. وبعض أسلاف إقبال بالطبع أصبحوا صوفيين، ويقال إن أحدهم ألف في التصوف، وكان والد إقبال نفسه محباً للصوفية مبدلاً لهم، ولعله كان من أتباع الطريقة القادرية التي عرفها إقبال منذ طفولته. لم يتنصل إقبال من جذوره أو يرى أصله قبل الإسلام معيماً، كما هو الحال عند بعض المسلمين في أيامنا، بل كانت سلالة البرهمية مصدر فخر واعتزاز له، إذ يقول في (زبور عجم): «انظروا إليّ، فلن تجدوا في الهند غيري رجلاً من سلالة البراهمة، عارفاً بأسرار الروم وتبريز».

ويقول: أنا كافرٌ هنديٌّ فانظرُ إلى شوقي وذوقي، ملءٌ قلبي الصلاة والسلام، وعلى شفتي الصلاة والسلام.

كان إقبال يُجلّ والده كثيراً، ويراه مثلاً نادراً للأخلاق، زهداً وورعاً وفقهاً ووعياً، ويرجع إليه السبب في براعته ونجاحه في التعبير عن جليل المعاني ودقيقها. عاش والد إقبال زهاء مائة عام، وقد قرّت عينه بنجاح ابنه الذي علّمه كيف يقرأ القرآن ويفاد من دروس الصوفية، ورأى نجم إقبال في حياته في صعود وعلو.

دراسته

بدأ إقبال دراسته في سيالكوت، ثم انتقل إلى لاهور، التي سيلقي محاضراته فيما بعد فيها، وتتملذ إقبال على شاعر الأردية نواب ميرزا داغ الدهلوي، وأشاد به، لكن الفضل الكبير في إيقاد قريحته وصلقه كان يعود إلى أستاذه المولوي السيد مير حسن، الذي علّمه الآداب العربية والفارسية والأردية، وحينما أرادت الحكومة فيما بعد منح إقبال رتبة (سير) لم يقبل بذلك إلا بعد أن يعترفوا بفضل أستاذه أولاً، وحين سُئل

إقبال في أوروبا

في الطريق من الهند إلى أوروبا، زار إقبال وهو ينتقل من الهند مقام الولي (نظام الدين أولياء)، وأنشد قصيدة هناك وأهداها إليه، كان عنوانها: (ورقة الورد)، يظهر إقبال في (استغاثة المسافر) بين الخوف والرّجاء فهو يلجأ إلى ضريح هذا الشيخ ليسكن قلبه ويطمئن قلبه، ويصف إقبال نظام الدين أولياء بالمدكور في ملأ الملائك، والشخصية البارزة، والموجود الذي يعمّ الوجود، ونظامه كنظام الشمس، ومقامه كمقام المسيح، ولون الحُبّ مستورٌ في محبته، صاحب الشأن الرفيع والاحترام الكبير، ويتوجّه إقبال إلى الله بالدعاء، متوسلاً بهذا الولي، سائلاً الله أن يلبي رغبته في التزوّد من العلم والمعارف، وأن يعلن ذاته، دون حاجة إلى أحد، وأن يرده إلى وطنه، ليُقبّل أقدام والديه. التحق إقبال بكلية (الثالوث) في كمبردج بمساعدة أستاذه أرنولد، الذي سهّل صحبه له إتمام دراسته في ميونخ، للحصول على درجة الدكتوراه، وفي هذه الفترة درس إقبال من المهتمين بالتصوف في كمبردج كلٌ من: ميك تيجرت، ونيكلسون، وبراون، ولقد استفاد إقبال منهم كثيراً حتّى أن الأستاذ نيكلسون الدّارس الشهير للتصوف العربي والفارسي، ترجم له ديوانه أسرار الذات، وكان سبباً فيما بعد لذيوع شهرته في أوروبا.

لم تقتصر دراسة إقبال على الفلسفة، وتعدّى اهتمامه من التصوف إلى القانون، ولتحقيق إحدى رغائبه التي حالت الظروف دون تحقيقها في الهند، أخذ على عاتقه متابعة دروس القانون في لندن، وحصل على إجازة فيه من هناك. كما تعلّم الشعر والفلسفة في ألمانيا.

كتب إقبال وهو في أوروبا يقول: «إن الأمة الإسلامية لم تقم على أساس الوحدة الوطنية والقومية، بل إن مهندسها العربي (مُحمّداً) قد أقامها على أساس يختلف عن الأسس المألوفة لدى العالم». ألقى إقبال عدّة محاضرات في لندن عن الإسلام، وقد نُشرت في الصحف والجرائد وقتها، ومنها: الإسلام والتصوف، وأثر الإسلام على الحضارة الغربية، والإسلام والديمقراطية، والإسلام والعقلانية. ←

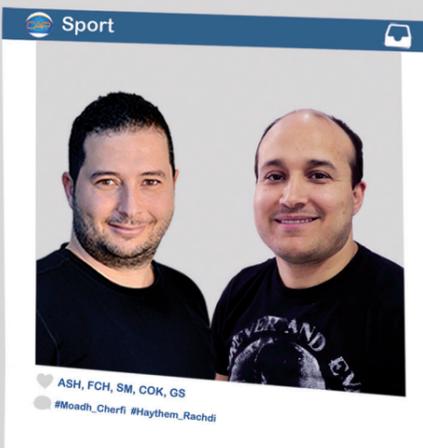
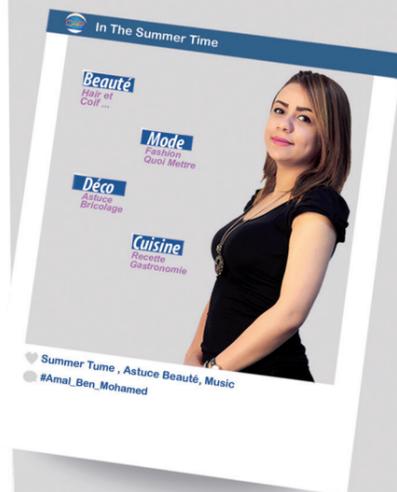
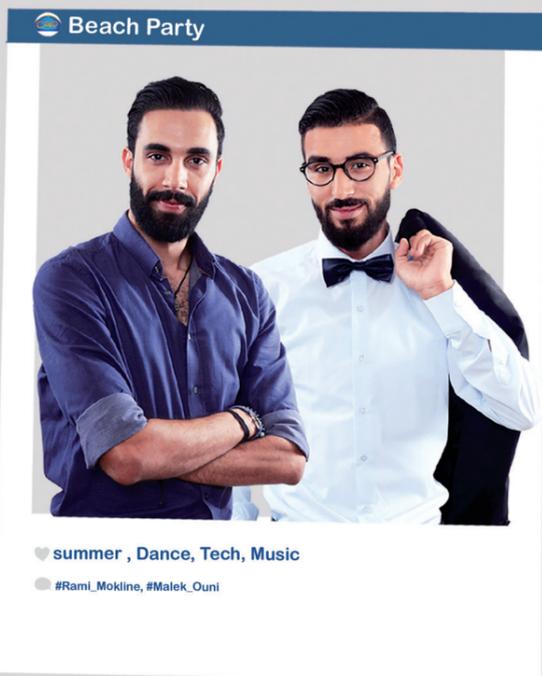
عن مؤلفات أستاذه قال: أنا بنفسني مؤلّف حيٌّ متجدّد لأستاذي!

في لاهور حصل إقبال على درجة الماجستير في الفلسفة عام 1899، وفي هذا الوقت تتلمذ على يد المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد 1864 - 1930 Thomas Arnold الذي كان أستاذاً في جامعة لندن آنذاك، والمؤرخ للدعوة في الإسلام، وكان على علاقة جيّدة بعلماء الهند من أمثال: مولانا شبلي نعماني، وألطف حسين حالي. وقد حزن إقبال على مفارقة أرنولد للهند، وكتب في ذلك: لقد كانت ذرات قلبي على وشك أن تقترب من الشمس، وكانت زجاجة قلبي المكسور على وشك أن تكون مرآة العالم، ونخل رغباتي كاد أن يورق، فأه .. لقد كنت على وشك أن أصل إلى مرادي وأتحول تحوّل لا يتصوّر أحد، ولكن سحبت غيوم الرّحمة أذيالها من بستاني، وذهبت عنه، بعد أن أمطرت قليلاً على أزهار أمنيّتي. أين أنت أيها الكليم في ذروة سيناء العلم؟! وقد وهب موج أنفاسك الحياة للعلم، فإنك أنت الذي أوجدت الرّغبة في قلوبنا للبحث عن العلم، فلا نجد في نفوسنا شوقاً ورغبة بعد رحيلك!

وقد عبّر إقبال فيما بعد عن إصراره وعزمته لاستكمال ما بدأه وما تلقّاه من درس حبّ العلوم والمعارف، والالتحاق بأستاذه في الخارج قائلاً: «إن يد الجنون سوف تحلّ عقدة القضاء والقدر، وسوف أصل إليك بعد تحطيم قيود البنجاب».

اشتغل إقبال بالتدريس في لاهور، وتحديدًا في الكلية الشرقية، وفي هذه الفترة قام بترجمة وتلخيص وتأليف بعض الكتب التي أضحت مقررات دراسية، ومنها على سبيل المثال: علم الاقتصاد، وترجمة كتاب التربية الوطنية للـ Civics للمستر واكر Walker، وتاريخ الهند بالاشتراك مع لاله رام برشاد، ودروس في الأوردو بالاشتراك مع الحكيم أحمد شجاع. عقب ذلك بأكثر من عام غادر إقبال الهند متجهًا إلى إنجلترا لإكمال دراساته والاستفادة من أستاذه أرنولد.

LE BON AIR EST SUR CAP Fm



ألقى إقبال عدّة محاضرات عن الإسلام في أماكن عدّة في الهند، لاقت اهتماماً كبيراً من الجماهير على اختلاف طوائفهم وأديانهم، حتى قال أحد الأساتذة الهنالك في إحدى الحفلات: إذا فخر المسلمون بأن إقبالاً مسلماً، فإننا نفخر بأنه هندي. وتلك المحاضرات التي ألقاها إقبال هي التي جمعها فيما بعد ونشرها في كتابه (إعادة بناء التفكير الديني في الإسلام) عام 1930.

بين عامي 1931 - 1932 حضر إقبال مؤتمر المائدة المستديرة الثاني والثالث، المنعقد في لندن، وقام بزيارته إلى إيطاليا ومصر وفلسطين وفرنسا وأسبانيا، وفي هذا الوقت ألقى بعض المحاضرات وكتب الأشعار، والتقى بشخصيات بارزة في هذه البلاد... وحينما عاد إلى الهند تلقى دعوة لزيارة أفغانستان، ولتّى دعوة نادر شاه ملك أفغانستان، وفي رحلته هذه تأثر كثيراً بحفاوة القلوب وكرم النفوس، ونظم من أثر هذه الزيارة أشعاراً كثيرة...

استخدم إقبال «حساب الجُمَّل» على عادة الصوفية والعرب في التأريخ، فنظم تاريخ وفاة زوجته (سردار بيكم) 1354/1935م ضمن مقطوعة له، ورمزه بكلمة «سرمه ما زاغ» والتي تساوي قيمة حروفها العددية التاريخ الهجري لوفاة زوجته. أسس إقبال مركزاً إسلامياً في الهند وسُمّي بدار السلام عام 1937، وكان من أعضاء مجلسه الإداري (محمد أسد/ ليوبولد فايس) صاحب كتاب الطريقي إلى مكة، وأبو الأعلى المودودي، وكان كلاهما يقيم في مكة وقتها، وانتقلا إلى الهند، وما هو إلا وقت قصير جداً حتى انتقل إقبال إلى الرفيق الأعلى بجسده قبل أن يلقاه المودودي.

قال طاغور معلّقاً على وفاته: «لقد تركت وفاة إقبال فراغاً يشبه جرحاً مهلِكاً لن يندمل إلا بعد أمد طويل، إن موت شاعر عالمي كإقبال كارثة لا تحتملها الهند... وإن ما أصابه شعر إقبال من ذبوع وانتشار يرجع بلا ريب إلى ما فيه من نورانية الأدب الخالد وعظمته». ❗

خ.م.ع.
باحث في الإسلاميات والتصوّف

وفي هذه المرحلة ازداد شغف إقبال بالفلسفة والاقتصاد والقانون والسياسة، حتى أن نفسه خاطبته أن يقاطع نظم الشعر، وحدّث المقرّبين منه بذلك، لكنّ أستاذه أرنولد لم يوافق على ما يقول، وأخبره أن شعره ليس خيالاً مجرداً، بل إنه يؤثّر على القلوب ويثّر فيها الحياة والنشاط، ويدعو الناس إلى الكفاح والعمل، فلا ينبغي لك هجرانه، فامتثل إقبال لنصح أستاذه واستمرّ في نظم الأشعار.

تحول نظم إقبال من اللغة الأردية إلى الفارسية، إذ رأى فيها أداة حسنة للتعبير عن المعاني الفلسفية الغامضة والأفكار الدقيقة، وهي أوسع انتشاراً من الأردية في محيط البلدان الإسلامية.

إقبال محامياً ومدرساً

اشتغل إقبال بالمحاماة وتدرّس الفلسفة بعد عودته من أوروبا، ومن أعمال إقبال في هذه الفترة (1908 - 1910) التي نُشرت وهي مجموعة مقالات: الإسلام كمثال سياسي وخلق، والجماعة الإسلامية، والفكر السياسي في الإسلام.

فكّر إقبال في إعداد منظومة طويلة يشرح فيها للمسلمين شخصية المسلم وذاتيته وكيانه التي ينبغي أن يكون عليها في ظلّ هذه الصراعات الكبرى، فقد كانت أحداث الحرب العالمية الأولى في بداياتها، وكان في وقت سابق قد طلب منه والده أن يكتب منظومة بالفارسية على أسلوب الشاه بو علي قلندر، فوعده بذلك إقبال، وبالفعل بين عامي 1915 - 1918 نشر إقبال منظومته الشعرية ذات الجزئين الأسرار والرموز (أسرار معرفة الذات، ورموز نفي الذات). وعلى نهج الصوفية والأولياء أكد إقبال أن رسالته ومهمته في الحياة التي تحدّث عنها في هذه المنظومة موحاة إليه، كتب يقول: (لقد كتبت هذا المثنوي المعنون «أسرار خودي» وله هدف.. ولكنني أقسم بالله الواحد الأوح، الذي يسيطر على حياتي ومالي وشرقي، أيّ لم أكتبه بإرادتي الحرّة المحضة، وإنما كنت مكلّماً بذلك، وإنه لما يثير دهشتي: لماذا أخترت لكتابتك مثل هذا الموضوع؟! إن روعي لن تعرف الدعة حتى الخالق والمخلوق...

من قضايا النصّ الشعريّ مسائل في المعنى

لمحمد عبد العظيم

أما المبحث الثاني فهو نظر في وجوه تعالق المعاني بعضها البعض الآخر على سبيل التناص، وقد رصد المؤلف مختلف ضروب التعلّق مراعيًا ما سبّاه «دينامية المعنى» أثناء سيرورته وانتقاله من نصّ إلى نصّ فتوقّف عند كثير من المصطلحات التي وردت في التراث النقديّ العربيّ مثل «المصالّنة» و«الإغارة» و«الاصطراف» و«المراودة» و«الموارد»... وهي تردّ عنده جميعًا إلى «التّماعن» وهو تعالق نصوص مع نصّ حدث عن طريق المعنى دون سواه. وقد عزّز المقاربة التحليلية النظريّة بأمثلة تطبيقية موصّحة فكان ذلك إغناء للمبحث وإضافة.

وحصّص المبحث الثالث لقضية تتصلّ بالتنازع في صناعة المعنى بين تسلّط النماذج وتمرّد الإبداع، وهي مسألة شائكة طالما شغلت النقاد والباحثين، فإلى أي حدّ يُدعّن المبدع للمستقرّ من السنن والنماذج؟ وما هي الهوامش المتاحة للخروج عن السائد والتمرّد والإبداع؟

وقد عرض المؤلف آراء مختلفة في هذا الشأن وانتهى من سبرها وتحليلها إلى الوقوف على صرامة القوانين المتحكّمة في الإبداع الشعريّ بما يجعل الشاعر بين طرفي نقيض: مضائق القوانين والقواعد التي تحاول إخضاعه لسلطانها وأوسع التحرّر من القيود التي تدعوه إلى افتراع جديد المسالك وطريقها.

وأما المبحث الرابع فاهتمّ فيه المؤلف بقضية «التلقّي» في كتاب العمدة لابن رشيق، وإن كان التلقّي مصطلحًا حديثًا نشأ في النقد الغربيّ فإنّ المؤلف بحث عن آثاره في مدوّنة عربيّة من القرن الخامس الهجريّ وانتهى إلى أنّ قانون التلقّي ومبدأ التأثير والإفادة هما اللذان تحكّما في كلّ مواقف ابن رشيق وآرائه في النصّ الشعريّ.

ولا بدّ من التأكيد أنّ الألف في هذا الكتاب هو أنّ صاحبه لا يستأسر لمنوال منهجيّ محدّد ولا يتقيّد بقالب منمط بل إنه يضع المقاربات النقدية التي اهتمت بالشعر موضع نظر وتساءل ويجادلها من موقع المطلع على لطائفها ودقائقها والمدرّك لمواطن القصور والوهن فيها فيجتهد في اجترار مقارنة متفرّدة تعتمر المفيد منها وتنحو بها نحو التضايف والتكامل. ثمّ إنّ قارئ الكتاب يتبيّن بسهولة أنّ هذه الفصول صيغت في لغة أنيقة فصيحة فجعلتها أشبه ما تكون بالشعر على الشعر. ■

ح.د.

صدر مؤخرًا عن مركز النشر الجامعيّ في طبعة ثانية منقّحة كتاب للأستاذ محمد عبد العظيم بعنوان «من قضايا النصّ الشعريّ: مسائل في المعنى»، وقدّم لهذه الطبعة الأستاذ عبد السلام المسديّ.

والمؤلف هو أستاذ اللّغة والدراسات الأسلوبية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، عُرف باهتمامه بدراسة الشعر العربيّ والتراث النقديّ والبلاغيّ من وجهة نظر أسلوبية، كما عُرف بنشاطه الجمعياتي في مجال تنمية اللّغة العربية وحمايتها وطنيًا ودوليًا.

أما الكتاب فهو مجموعة من البحوث شارك بها المؤلف في ندوات ولقاءات علمية مختلفة أو مقالات نشرها ببعض الدوريات العلمية المحكّمة.

- معاني النصّ الشعريّ: طرق الانتاج وسبل الاستقطار وقد شارك به في ندوة «صناعة المعنى وتأويل النصّ» الملتزمة بكلية الآداب بمنوبة في أبريل 1991.
- «التّماعن» أو تناسل المعاني في الخطاب الشعريّ، وقد اعتبره تكملة للبحث الأول في منطلقاته وغاياته.
- صناعة المعنى بين تسلّط النماذج وتمرّد الإبداع، وقد شارك به في ندوة حول «النموذج والتّمدج» نظمتها كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس سنة 2007.
- التلقّي: منزلته وأبعاد في نظرية الشعر عند العرب كتاب العمدة مصدرًا، وقد نُشر بمجلة الكراسات التونسية (العدد 171 بسنة 1995).

وتشترك هذه المباحث في الاهتمام بقضية المعنى في النصّ الشعريّ وطرائق صناعته وآليات إنتاجه، وقد نبّه المؤلف على عدم كفاية المنهج الواحد في الظفر بالمعاني الشعريّة فاقترح مقاربة مستجدة سماها «المنهج التكامليّ» أو «المتكامل»

فالمبحث الأول مبحث تأطيريّ عامّ حاول فيه المؤلف تتبّع مختلف المنابع التي يتسرّب منها المعنى إلى النصّ الشعريّ وتعقّب مختلف الزوايد التي تتضافر في صناعته بالتركيز على عناصر الخطاب الأساسية: الشاعر والنصّ والمتلقّي، وانتهى إلى أنّ المناهج النقديّة الحديثة لا يُقدّم الواحد منها إلاّ وجهة نظر محدودة لا تمكّن من التفاضل إلى جماع معاني النصّ والإلهام بكلّ دلالاته.



تقديم: د. عبد السلام المسدي
طبعة ثانية منقّحة
مركز النشر الجامعيّ

EXPRESS AIR CARGO



VOTRE PARTENAIRE POUR LE FRET AÉRIEN

5 5 VOLS PAR SEMAINE VERS L'ALLEMAGNE

3 3 VOLS PAR SEMAINE VERS LA FRANCE

5 5 VOLS PAR SEMAINE VERS MALTE

www.express-aircargo.com

النساء والإرهاب

د. آمال قرامي ومنية العرفاوي

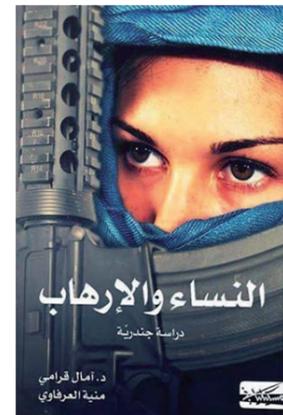
«النساء والإرهاب، دراسة جنديرية»، عنوان كتاب صدر مؤخراً عن مؤسسة «ميسكلياني للنشر والتوزيع»، وهو من تأليف د. آمال قرامي الأستاذة بالجامعة التونسية المتخصصة في الدراسات الحضارية والفكر الإسلامي ومنية العرفاوي الصحفية بجريدة «الصباح».

جاء هذا الكتاب الذي يقع في 540 صفحة لإلقاء الضوء على زوايا ظلت معتمة في قضية الفتيات والنساء والإرهاب، إذ تبين د. آمال قرامي أن الدارسين نادراً ما تعرّضوا في مؤلفاتهم المتعددة إلى أشكال حضور النساء في التنظيمات الإرهابية والجماعات المتطرفة، علاوة على انعدام العناية الجادة بملامح «الجهاد/ الإرهاب/ التطرف النسائي» وتحديد الأسباب التي تدفع فئات من الشباب والنساء من كافة بلدان العالم إلى الانتماء إلى الجماعات المتشددة، وعلى رأسها «تنظيم داعش» والقبول بالتضحية بكل شيء في سبيل الالتحاق «ببلاد الشام»، لذلك اعتمدت في الكتاب مقاربة جنديرية تقطع مع التمرکز الذكوري لدراسة علاقة الفتيات والنساء بالإرهاب ولسدّ بعض الثغرات في تحليل الظاهرة الإرهابية، لا سيّما وأنّ الجندر أضحى مركزياً في دراسات الإرهاب وغيرها من الدراسات.

وتكمن أهمية هذه «المغامرة البحثية» وطرافتها في التزاوج بين المنحى الأكاديمي الصارم للدكتوراة آمال قرامي – الملتزم بالمعايير العلمية من حيث ذكر مختلف المراجع والتدقيق في المفاهيم والمصطلحات ونقد بعض النظريات السائدة – وعدسة منية العرفاوي الصحفية التي «تستقصي الأخبار وتجمع المادة من خلال الاتصال المباشر بفتة مهمة من النساء اللاتي احتككن بالإرهاب فكرا وممارسة أو تحملاً للتبعات فتكون كتابتها إنشائية ميثالية إلى إبراز قصص حيوات «فاعلين» متعددين»...

لعلنا لا نبالغ إن قلنا إنّ هذا المؤلف الذي بُدلت جهود بحثية مضيئة من أجل إعداده يعتبر من أفضل ما صدر إلى حدّ الآن بخصوص ظاهرة الإرهاب عموماً وعلاقة النساء بها بوجه خاص، لما يتّسم به من عمق التحليل وجدية المقاربة ووفرة المراجع والمعلومات.

وتؤكّد د. آمال قرامي على سبيل الخاتمة أنّه «بالرغم من التهيّب من توظيف المناهج الجديدة في دراسة الإرهاب فإنّ مقاربة الجندر استطاعت فرض نفسها فما عاد بالإمكان تجاهلها وعزلها عن بقية الاختصاصات، ولكنها تبقى غير كافية لفهم مختلف أبعاد التطرف العنيف وكلّ مكونات الإرهاب، ومن ثمّة وجب التذكير مرة أخرى بأنّ دراسة الإرهاب تتطلب بحثاً أخرى تستند إلى مقاربات ومناهج مختلفة تحقّق قيمة مضافة كالمناهج الأنتروبولوجي والمنهج الثقافي الاجتماعي والمقاربة السياسية والمنظور القانوني والفلسفة...»



من الفصل الخامس للكتاب بعنوان: «الإرهابيات المغاربيات، دراسة بورترييات» نعرض عليكم هذه المقتطفات التي تخص إحدى فتيات تنظيم أنصار الشريعة: ←

ورقات من كتاب

عائشة... الجسد في خدمة المعتقد

لم يدر بخلد النائب بالبرلمان التونسي رضا شرف الدين وهو يغادر منزله ذلك صباح يوم 8 أكتوبر 2015 متوجّها إلى مصنع الأدوية الذي يملكه أنّه سيعيش أظفح كابوس في حياته وأنّ بانتظاره لحظات رعب لا تُنسى... فلم تمض إلاّ بعض دقائق على انطلاقه بسيارته الفاخرة حتى تفاجأ بانهمار وإبل من الرصاص انطلق من سيارة مجهولة كانت تسير على يمينه. ورغم أنّ الأمر باغت شرف الدين إلاّ أنّه تمالك نفسه وحاول باستماتة إنقاذ حياته بكلّ ما أوتي من قوة فزاد في سرعة سيرته ولكن سائق السيارة المجهولة زاد في السرعة بدوره وانطلق خلفه برغبة محمومة في إيذائه.

كانت السيارة التي تلاحق بعناد شرف الدين سيارة رابعة الدفع انطلق سائقها بسرعة جنونية خلفه في ما استمرّ مرافق السائق في إطلاق الرصاص على رضا شرف الدين، وقد التحقت سيارة ثالثة كانت تقوم قبل ذلك بالرصد ومتابعة عملية المطاردة وانضمت إلى السيارة الرابعة في إطلاق النار باتجاه سيارة رضا شرف الدين في محاولة لاغتياله ورغم أنّ هذه المطاردة الشبيهة بأحد المشاهد السينمائية المثيرة من أحد أفلام «هيتشكوك» لم تستغرق سوى عشر دقائق إلاّ أنّ رضا شرف الدين وصفها بكونها استغرقت دهوراً من الزمن وأنه لم يصدّق أبداً أنّ بإمكانه النجاة بعدها. فبعد أن وصلت السيارة أمام مصنع الأدوية وهي مخربة بعشرات الرصاصات، نظر شرف الدين من خلال زجاج المقعد الخلفي لسيارته المهشم بالكامل فلم يتبيّن شيئاً... اختفت السيارتان ولم يبق من كلّ العملية إلاّ أزيز

الرصاص الذي يطنّ في أذنيه، وأسئلته تائهة في ذهنه: من كان هؤلاء؟ ماذا يريدون؟ ولماذا أرادوا قتله؟ تحسّس رأسه وصدره ثمّ ألقى بجسده خارج السيارة، وهو لا يصدّق أنّه أفلت بمعجزة من موت محقّق!... في ليلة 8 نوفمبر من سنة 2015 نجحت قوات الأمن في القبض على شخصين مسلّحين كانا يركبان دراجة نارية، وحاولا إطلاق النار على أعوان الأمن كما أنّهما كانا يحملان حقيبة تحتوي على عدد من الأسلحة والمتفجّرات. وقادت التحريات الأمنية إلى الكشف عن العلاقة المباشرة بين هذين الشخصين ومحاولة اغتيال رضا شرف الدين. وقادت المعلومات التي حصلت عليها الشرطة إلى الكشف عن أخطر خلية كانت تعدّ العدة للقيام بأعمال إرهابية تشمل اغتيال قيادات سياسية بارزة ورجال أعمال وتفجير مناطق حيوية والقيام أيضاً بعملية انتحارية باستعمال العبوات الناسفة.

وأثناء التحقيق برزت مفاجأة تمثّلت في وجود امرأة ضمن هذه الخلية الخطيرة التي كانت تسمّى نفسها بـ «خلية الفرقان» وتعدّ هذه المرأة من أخطر العناصر ومن أكثرها نشاطاً وتحمّساً للأفكار المتشددة والتكفيرية. وكانت هوية المرأة التي تُكّني بـ «عائشة»: رباب محيميد المولودة سنة 1986 بمنطقة سيدي الهاني من ولاية سوسة والتي لم تكمل تعليمها واكتفت بالمرحلة الأولى من التعليم الثانوي، وقد حاولت أن تعمل في بعض مصانع الجهة ولكنها لم تداوم على العمل ولازمت البيت.

وكانت الخيمات الدعوية التي انتشرت بشكل كبير بعد الثورة في المدن الساحلية، وخاصة مدينة سوسة سبباً مباشراً في تعلّق «عائشة» بالفكر الجهادي، وتأثرها برموزه ومنظريه أمثال «أبو محمد المقدسي». وفي أواخر 2011 بدأت «عائشة» تهتمّ بقراءة الكتب الدينية ذات التوجّهات الفلسفية والجهادية، والتي كانت تعرض على قارعة الطريق أمام كلّ مساجد وجوامع تونس وتلقى إقبالاً من الشباب الملتزم دينياً وحتى الشّبّاب غير الملتزم. وفي بداية سنة 2012 بدأت «عائشة» تتأثر بالأفكار التي يروّج لها التيار الجهادي في تونس من خلال تنظيم أنصار الشريعة، خاصّة في أواخر سنة 2011 وبداية 2012

والذي كان له حضور قويّ في مدينة سوسة. وقد تعلّقت «عائشة» بأفكار قيادات هذا التيار ومنهم سيف الله بن حسين- أبو عياض، وسيف الدين الرايس وحسن بن بريك الذين كانوا من «نجوم» التنظيم في بداية تأسيسه.

وبعد فشل محاولة اغتيال النائب رضا شرف الدين نجحت قوات الأمن في إلقاء القبض على عناصر الخلية التي ناهز عدد أفرادها 32 عنصراً من بينهم عائشة التي كان لها دور محوري في التعارف بين باقي أفراد المجموعة، ومنهم ناظم الحدّاد وناجح بن سعد منفذاً محاولة الاغتيال وبعذان من العناصر المصنّفة خطيرة، وقد تمّ إلقاء القبض عليهما بعد خمسة أيام من محاولة اغتيال النائب رضا شرف الدين. وكانت عائشة قد لعبت دوراً هاماً داخل خلية سوسة الإرهابية إذ تولّت مهمة استدراج عون الأمن أيمن الهذيلي والإيقاع به مستغلة في ذلك أنوثتها، وقد ربطت معه علاقة عاطفية استمرت أشهراً بدأت بالإعجاب المتبادل والحال أنّ «عائشة» متزوّجة بأحد المتبئنين للفكر الجهادي والذي تمكّن من الفرار إلى ليبيا بعد ذلك، وانتهت بعلاقة حميمية بعد طلاقها من زوجها.

لقد خطّط عون الأمن وعائشة لعقد قرانهما بعد انتهاء شهر العدة، ولكن عائشة لم يكن يهمّها كثيراً الرّواج من حافظ الأمن لأنّها كانت مكلفة بمهمة استقطابه وتطويره لخدمة أغراض الخلية باستخدام أحسن لغة تبدع فيها النساء وينهار أمامها أقوى الرجال: لغة الجسد. وقد كشفت تحريّات الأمن أنّ عائشة وعون الأمن كانت بينهما علاقة جنسية وكانا يلتقيان سرّاً في منازل بعض معارفهما للاختلاء ببعضهما. وقد أحبّها عون الأمن إلى درجة أنّه لم يعد قادراً على الابتعاد عنها، ومستعدّاً لتقديم كلّ الخدمات التي تطلبها منه ولم تكن عائشة تطلب أكثر من ضمان طاعته.

وقد تمّ انتداب أيمن الهذيلي سنة 2012 والتحق بالعمل في فوج وحدات التدخل بسوسة، وعندما قبض عليه اعترف بأنّ «الخلية التي انتمى إليها عن طريق عائشة، وكان على علم بمخطّطها، كانت تعدّ

العدة لتنفيذ عمليات في تونس مشابهة لهجمات باريس العاصمة الفرنسية. ولم ينكر عون الأمن عند التحقيق معه تبنيّه للفكر المتشدد والتحاقي بالخلية الإرهابية بعد تعرّفه على عائشة. كما أنّه اعترف أيضاً بأنّ المجموعة طلبت منه التقاط صور لمنشآت أمنية في جهة سوسة، ووفّرت آلة تصوير. وقد استطاع بالفعل التقاط صور لشخصيات رياضية وسياسية بارزة في مدينة سوسة منها النائب رضا شرف الدين الذي نجا من محاولة اغتياله التي دبرتها المجموعة، والذي التقط له صوراً عديدة في أحد مباريات فريق كرة القدم النجم الرياضي الساحلي باعتبار أنّ شرف الدين هو رئيس الفريق الرياضي.

وكانت الغاية من محاولة اغتيال رضا شرف الدين حسب اعترافات رباب محيميد أو عائشة هو إرهاب السياسيين، وإدخال البلبلّة داخل الطبقة السياسية، وإشعال التّعرات الجهوية بين مختلف ولايات الجمهورية، كما أنّ أفراد المجموعة الإرهابية أجمعوا على أنّ اختيارهم لـ «رضا شرف الدين» لم يكن عشوائياً بل يعود إلى كونه أحد رموز سوسة سياسياً ورياضياً واقتصادياً، وأنّ عملية اغتياله ستربك الأمن العام، وستكون لها تداعيات سياسية وجهوية. وقد كشفت محاولة الاغتيال الفاشلة عن جريمة بشعة جدّت يوم 19 أوت 2015 بجهة حيّ الزهور في ولاية سوسة، وأدّت إلى قتل عون الأمن عزّ الدين بالحاج نصر خلال عمله بطريقة غامضة. فقد اعترف عون الأمن أيمن الهذيلي أنّ الخلية هي التي كانت وراء قتله برميّه بالرصاص ثمّ قرّرت الفرار.

تقبّع اليوم رباب محيميد أو عائشة في سجن النساء بمنوبة في انتظار استكمال أطوار محاكمتها على كلّ التّهم الإرهابية التي تعلّقت بها. والمعطيات المتوفرة لدينا من داخل السجن تؤكّد أنّ عائشة لا تكفّ عن افتعال المشاكل، وتكفير السجّانات وهي ترفض بشدّة مقابلة «الواعظات» اللواتي ترسلهن وزارة الشؤون الدينية من أجل الحديث مع النساء الموقوفات على ذمة قضايا إرهابية ومحاولة الحوار معهنّ حول معتقداتهنّ الخاطئة وفهمهنّ السيّئ للدين بهدف تقويم ما نحرف من عقيدتهنّ. ❏



شركة عقارية قمرت
شركة خفية الإسم رأس مالها 1 000 000 دينار
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
المعرّف الجبائي: 425194L/P/M/000
الهاتف: +216 71 962 218 أو +216 71 960 100
الهاتف الجوال: +216 98 910 000 الفاكس: +216 71 962 175
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

إعلان بيع

طلب عروض عدد 02 لسنة 2018

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب شركة «الكرامة القابضة» في أرض مقام عليها هيكل بناية كائنة بمنطقة الشرقية II - أريانة (قسط وحيد):



- الخصائص العمرانية :
- الصبغة : أنشطة صناعية وحرفية ومهن أخرى وخدمات
- نسبة إشغال الأرض(COS): 0,3 إلى 0,5 على أقصى تقدير
- نسبة الاستعمال العقاري(CUF): 1,5
- الارتفاع : 17 متر (R+4) للأنشطة الإدارية و11 متر (R+2) للأنشطة الصناعية مع ضرورة أخذ رأي ديوان الطيران المدني والمطارات OACA

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعية للعقار على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت».

العقار موضوع طلب العروض يتم التفويت فيه خالي من الرهون أو التحملات و ترجع ملكيته الى شركة الكرامة القابضة راس مالها على ملك الدولة التونسية.

يتعلّق البيع بالعقار على الحالة التي هي عليه كما تقع معيّنته من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم. المهتمّون بطلب العروض مدعوّون عند الإقتضاء إلى ربط الصلة بالجهات الإداريّة المحليّة والمصالح الفنيّة المختصّة لمزيد التثبّت من صبغة العقارات ووضعيّتها قبل المشاركة، وتضمن عقارية قمرت وشركة الكرامة القابضة للمشتري استحقاق المبيع وتمنعان عنه كل شغب مادي أو قانوني مصدره الغير وتكونان متضامتان معه في حال نشوب نزاع لاحق بسبب انتقال الملكية إليه.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة العقار الموضوع للبيع. وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدّة من 08 جانفي إلى 21 فيفري 2018. ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدم إلى شركة «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحددة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائة و خمسون دينار (150 د) نقدا أو بواسطة صك يسلم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري. ترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»

العنوان : نهج بحيرة أناسي - ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس

الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 02 لسنة 2018

«لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكوّن ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتبّية من «أ» إلى «ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في ذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراسات الشروط والمحدّد جزافيا بمبلغ مائة ألف دينار تونسي (100 000 د).

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الخميس 22 فيفري 2018 على السّاعة الثالثة بعد الزوال (15س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنية في نفس اليوم على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال (15س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل). ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم لمُدّة مائة و خمسون (150) يوما بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام:

(+216 98 910 000 أو +216 73 369 037 أو +216 71 960 100).

- الرّسم العقاري : 22714 أريانة (القطعة 94)
- إسم العقار : «تور أفريك»
- المساحة الجمالية للرّسم العقاري : 6 780 م²
- مساحة الأرض موضوع التفويت : حوالي 5 348 م² (القطعة A حسب المشروع الجاري لتعديل مثال التقسيم)
- الموقع/العنوان : المقسم 105 من تقسيم الرسم العقاري 7085 أريانة للوكالة العقارية الصناعية (AFI) الكائن بنهج الصناعات التقليدية بالشرقية II - أريانة ملاصق للمدرسة الوطنية للمهندسين بقرطاج ENIC وعلى بعد دقائق من مطار تونس قرطاج الدولي.
- الوصف العام للعقار :
- العقار موضوع الرسم 22714 أريانة هو موضوع مشروع تعديل جاري لمثال التقسيم لاستخراج القطعة B التي تمّ تخصيصها لبناء جامع (بصدد البناء) بمساحة 1432 م²
- القطعة A المساحة حوالي 5 348 م² مقام عليها هيكل بناية R+1 بمساحة مغطاة تناهز 1 096 م².



ف س ا د

فساد

فَعَلَ ثلاثي صحيح، سالم، ولو أنّ هذه الأخيرة، فيها أخذ وردّ، فهو كثير الأسقام والأمراض والعلل، والأصوب أن يكون معتاداً، ولكن لا حيلة لنا في ذلك، فهكذا شاءت العرب؛ وهو فعل بسيط، لا يثير في تصريفه متاعب أو مصاعب، حتّى للتلاميذ الكسالي والمبتدئين الذين لا يفقهون في التاريخ والجغرافيا... فَسَدَ، يَفْسُدُ، فسادا. أمّا شره فيطول... يُقال فسد الطعام أي أنتنّ؛ وفسد الرجل أي جاوز الصواب والحكمة؛ وفسد الأمر أي اضطرب وأدركه الخلل. أمّا الفساد في العلوم الحيويّة فهو انحلال الموادّ العضويّة بتأثير الجراثيم كحال اللحم المفروم، تغطّي توابله وبهاراته على ريحه التنتنة...

ويقال فسدت الأخلاق وفسد الذوق، وهذه لا تخفى، فيكفي أن تنظر إلى قلّة ذوق بعض أهل السّياسة في ملبسهم ومنطقهم وطلعتهم، حتّى يصيبك الرّمْد أو العشى؛ حالهم كحال الذين ينشرون غسلهم الوسخ على قارعة الطّريق، في برامج كالمسالخ حيث يختلط الدّم بالزّرق والرّوث والجلّة والمصران والفُرْت؛ ولو أنّ فضلات الحيوان والإنسان ليست كلّها رجسا، فهي وقود وسماد لهواة الفلاحة البيولوجيّة، موضة هذه الأيام؛ ويقال عاث فلان في الأرض والبحر والجوّ فسادا؛ وقد تستغرب كيف تجمّع كلّ ذلك الفساد في شخص واحد. أمّا الفساد السّياسيّ فالباحث فيه كمن يتعلّم الزّلق في بيت الصّابون، لا يكاد يستوي واقفا حتّى تذهب به قدمه في مزلق؛ لذلك لن نخوض فيه كثيرا، فالنّبش فيه كالنّبش في منجم مهجور، إذا بالغت وأوغلت سقط على رأسك؛ ولا أزيدكم علما لو قلت لكم إنّ الفساد السّياسيّ في معناه الواسع هو استخدام السّلطة لأهداف غير مشروعة؛ وتتنوّع أشكاله من المحسوبيّة والرّشوة والابتزاز والاحتيال والمحاباة؛ ولا أزيدكم علما لو قلت لكم إنّهُ يَفوّض الديمقراطيّة والتنمية وينشر عدواه في القطاع الخاصّ، فلا ينفع فيه، حينها لا لقاح ولا مصل؛ ولا أزيدكم علما لو قلت لكم إنّهُ يتكاثر شأنه شأن النّجيل، يفترش الأرض ويذهب فيها بعيدا، سوقه أرضيّة، كثيرة العقد، تتمدّد كلّما كان الفصل سخيا بمائه أو مطره؛ يضرّ بالزّرع من حوله ويخنقه حتّى يضمّر أو يجفّ وموت؛ عصيّ على القلع والحشّ والمبيدات؛ لا ينفع فيه إلاّ الحرق أحيانا؛ ومن علاماته التي لا تغيب ولا تخفى، كلام كثير في الحرّيّة والديمقراطيّة والشّفافيّة؛ ومن علاماته، أيضا، العجلة واللّهفة؛ كحال ذلك الحكّم المرتشي الذي كان

يستعجل المكافأة فصفر ضربة جزاء قبل أن تبدأ المقابلة... ولا أحبّ أن أذكر الصّفارة والمصفرين إلاّ بكلّ خير وتبجيل، بدءا بصّفارة مدير المدرسة القرويّة التي علّمتني هيبّة الصّفارة، مروراً بصّفارة الشّريطي الذي يصفرّ لي، تشفياً، بسبب ودون سبب، وصولاً إلى صّفارة القطار الذي يقصّ مضجعي في اللّيل والنّهار، وختامها صّفارة الحكّم، وما أدراك ما صّفارة الحكّم؟ والفساد يبدأ من الرّأس نازلاً أو من الجذر صاعدا، شأنه شأن غرس كثير؛ وعلامته، إن كان في الرّأس، ورق كثيف، دون ثمر؛ وعلامته، إن كان في الجذور، خمول ومغص في الأمعاء؛ فإذا بدأ واستفحل من فوق فاقرط الرّأس والجذع قرطا شديدا، إن استطعت إلى ذلك سبيلا ثمّ حفّز نموّ غرسك بماء زلال، واصبر قليلا، فإنّ براعم كثيرة ستمدّ أعناقها للنور ثمّ تتفتح؛ أمّا إذا بدأ من الجذور فامنع الماء حيناً من الزّمن فإنّ الفاسد منها لا يلبث أن يموت، إذ لم يتعوّد الصّنك والشّطف؛ غير أنّ ذلك الجهد كلّه قد لا يشفع لك، فكثيراً ما يمدّ بين البراعم برعم فاسد رأسه، فما يزال يكبر ويشدّد حتّى يقضي على ما عداه؛ لذا، إذا أردت أن تقطع دابر الفساد إلى غير رجعة، فابدأ بتشتيت أوصاله؛ هي حروف أربعة فقط، فاء وسين وألف ودال.

حاذر أن تمسّ الألف بسوء فهو العمود الذي يشدّ السّقف، لو نزعته لسقط البنيان على من تحته فيصيب المذنب والبريء؛ ابدا بحرف الدّال، فهو مفصول عن باقي الحروف، ليس بينه وبينها مصاهرة أو نسب، وإمّا تابع، يتزلف، لذلك يسهل نزعه بقليل من الحنكة والحيلة. ثمّ تفرّغ لحرف الفاء، فانزع عنه نقطته التي فوقه فهو من دون نقطة لا يساوي شيئا كثيرا، ثمّ اجعل أنشودة في دائرته وادفعه يتدلّى حتّى يختنق شنقا، فإذا انحلت حلقة فاعلم أنّه أسلم الرّوح إلى باربيها؛ وكُنّ شجاعا، ولا تزعم أنّه مات منتحرا؛ أمّا، الآن، فدونك وحرف السين؛ وهو حرف شرس، فاحذر أنيابه الثلاثة، واخلعها واحدا فواحدا، فإنّه من دونها لا يقطع ولا يمضغ ولا يهضم ولا يبلع. بقي حرف الألف، وهذا لا خوف منه؛ تستطيع أن تتركه منتصبا في العراء، منبوذا ووحيدا؛ وتستطيع أن تنصبه في حقلك وتخلع عليه قميصك البالي وقبعة من قشّ، فزاعة، ترهب بها العصافير؛ وقد لا يُرهب أحدا، حتّى العصافير... والفساد، شأنه شأن زرع كثير، ينمو في التّربة الضّحل أو الخصبة الثّريّة، لا يفرق بين وضيع و رفيع، أو خادم ووزير...
ص.و.